
أحمد يونس
نادر فوده 7
الأعوان ....
ساحر الكتب

اهداء

امي ...

سأظل أهديكي يا حبيبتي كل عمل اقدمه ، لأني سأظل أتنفس عشقكِ حتى يأتيني النفس الأخير ويحين اللقاء ...

ولدك الصغير أحمد

(مقدمة)

لطالما تركت نفسي للأحداث والأشباح كي تقودني كيفما شاءت، ففي العذراء والجحيم ؛ وجدت نفسي أقوم بدور المحقق متناسياً تماماً مهنتي الأساسية، وهي الصحفي الباحث عن المتاعب وأبواب الظلام، أفتح أبوابها وأدخل دون إستأذان، لكنني نويت في هذه المرة أن أتحدى الظروف مهما كانت، وأن أعود أدراجي إلى مهنتي الحبيبة، كصحفي يسمع و يسجل و يحلل و يروي، صحفي يعشق المغامرة مهما طالهُ من مخاطر.

اسمحوا لي أن أردد عليكم الجملة التي تعشقونها مثلي تماماً و ربما أكثر...

أنا الصحفي نادر فودة، الصحفي بجريدة عمق الحدث باب ما وراء الطبيعة، الرجل الذي لا يُغمض له جفن، إلا بعد أن يتحدث مع الجن والعفاريت، الصحفي الذي وجد في الأشباح والشياطين أصدقاء مخلصين، الصحفي الذي يرى أن يوم ميلاده، هو اليوم الذي زُج بي داخل أحد القبور، وواجه الشياطين وهواجسه ومخاوفه عن هذا المكان الموحِش، الصحفي الذي إذا رغبت أن تقدم له هدية قيّمة، فلا تقدم له قلب مُحب على طبق من فضة، بل قدم له رأسٍ مفصولٍ داخل كفن رث، الصحفي الذي لا يسعد بزيارة أقاربه

قدر ما يسعد بزيارته لدجال أو ساحر أو أحد الروحانيين.

إذاً؛ فأنتم الآن مع موعد إقلاع الرحلة السابعة لنادر فودة مع الأعوان..

قلل إضاءة من حولك، استمع إلى الموسيقى المُخيفة المفضلة في قائمتك، أترك هاتفك، أغلق عليك باب غُرفتك، واستمتع بهذه الرحلة التي ينقلها لكم كالعادة على لساني صديقي العزيز و رفيقي الدائم أحمد يونس.

الفصل الأول
(نحّاس)

من واقع سنين طويلة وخبرات مُكتسبة بيقدر الإنسان يكتشف أبعاد أخرى للكون و يصدق و يقتنع تماماً إنه أصبح مُلِم بكل شيء، وإذ فجأةً يتعرض لموقف ما أو تجربة ترجعه لنقطة الصفر فيُدرِك إنه ما تعلمش حاجة.

الشاهد من كلامي إني كل ما أخوض معركة من معارك عالم الظلام أخرج منها وأنا مقتنع تمام الإقتناع إني أصبحت مؤهل تماماً لخوض المزيد من المعارك ومع أول موقف بتأكد إني مجرد تلميذ مُجتهد في عالم ما وراء الطبيعة و إني لسه قُدامي كتير جدًا علشان أزعُم إني لدي ما يكفي من الخبرات الحياتية.

ليه بقولكم كده؟

علشان بعد روايتي إللي فاتت وفي نهايتها لو تفتكروا إتقلبت الموازين تمامًا لما كُنت فاكر إني بخبرتي قِدرت أحل لغز أميرة وسامر ولكني إكتشفت إن في طرف ثالث قارئ الصورة من البداية وحطلي عنصر يساعدني إني أكمل للنهاية، الطرف ده كان (هالة).

هالة إللي ضيعتها بغبائي (رواية النقش الملعون)، هالة إللي

ما سببتش ليها غير كل حُزن في مُقابل إنها ما سببتش ليا غير كل خير، ومن يومها لحد النهاردة وأنا عندي أمل إنها تظهر أو حتى تجيلي في المنام، لكن من الواضح إن عقاب هالة ليا بإنها تفضل تساعدني من غير حتى ما أشوفها.

كان نفسي أقولكم السيناريو إللي أنتوا مستنينه إنها ظهرت وإننا قعدنا مع بعض وإننا لقينا حل يجمعنا من عالمين مُختلفين، كان نفسي أقولكم إن الإنسانة الوحيدة إللي قلبي اتحرك بسببها موجودة جنبي وأنا بكتب لكم الكلام ده، لكن حقيقي ليس كل ما يتمناه المرءُ يُدركه.

قطع إبحاري في عالمي الخاص صوت تليفون مكتبي وهو بيرن بإتصال من مديري المباشر.

نادر: أيوة يا فندم

المدير: تعالى يا نادر عاوزك

نادر: تحت أمر حضرتك.

قومت من مكتبي وروحت على مكتب أستاذ عماد على طول إللي استقبلني بحفاوته المعتادة ودعاني للجلوس ودار بينا الحوار التالي..

عماد: ما شاء الله شايف الملف ده؟

نادر: ملف إيه يا فندم؟

عماد: دي مبيعات الجورنال الأخيرة

نادر: أه تقصد حضرتك من وقت ما أنا جيت

عماد (مُقاطعًا): لا أقصد من وقت ما أنا جيت

نادر (متهكمًا): خلاص همشيها من وقت ما أنت جيت، بس أحب أفكرك إن إللي قبلك لما نسب لنفسه كل حاجة اتغضب عليه

عماد (مُبتمسًا): يا راجل أنا بهزر، طب بذمتك أنا عمري بخست حقك؟، ده أنا مابقولش غير نادر راح نادر جه، ده حتى أكلة السمك إللي وعدتني بيها طلعت بايظة

نادر: والله حضرتك إللي طلبت أجيبلك سمك من أخر الدنيا

عماد: يلا خير، المهم أنت فين؟

نادر: ما أنا واقف قدامك أهو

عماد: ما تستعبطش يا نادر أنت فاهم سؤالي كويس

نادر: أستاذ عماد عاوزك تعرف حاجة أنا شخص مش بتاع (عبّي وإحشي)

عماد: بمعنى؟

نادر: بمعنى إني مش علشان حضرتك عاوز تبيع أقوم أنا أحشي أي حاجة

عماد: يابني افهم أنا لسه بقولك مبيعاتنا تضاعفت بسببك وإن مجلس الإدارة مبسوطين بشغلك قد إيه

نادر: ولو، أنا بني أدم محسوِك ومش هعمل حاجة تقلل من رصيدي، وبعدين تعالى هنا أنا مديلك قصص تغطي بتاع 6 أعداد لسه جايين، هي طفاسة وخلاص؟!

عماد: القصص إللي من تأليفك يا نادر حاجة والتحقيقات إللي أنت بتخوضها حاجة تانية

نادر: والله على ما أتذكر إن حضرتك إللي طلبت تنشر القصص بتاعتي في الأوقات إللي مفيهاش تحقيقات حتى كمان قولتلي إنها عظيمة ولازم تظهر للنور

عماد: هو أنا معرفش أقول كلمتين لمصلحة الشغل إلا لما ترد علينا بموشح؟

نادر: لا موشح ولا حاجة أنت سألت وأنا جاوبت

عماد: طب وحوار نحّاس؟

نادر: بشتغل عليه

عماد: طب ما تقول كده من الأول

نادر: هو أنت سألت؟

عماد (متنهدًا): أديني سألت ممكن تعرفني عملت إيه في موضوع نحّاس؟

نادر: شغال عليه

عماد (غاضبًا): هو حرام تريحني وتقول بتعمل إيه؟

نادر: هو أنا من إمتى بقول لحد أنا بعمل إيه!

- بعد إذنك أنا راجع مكتبي وماتنساش تطلعلي فلوس انتقالاتي والإقامة للكام يوم إللي جايين

عماد (مُبتسمًا): أخيرًا قولت الجُملة إللي مستني أسمعها! ياأخي ده أنا بستناك تُطلب الفلوس زي ما أكون أنا إللي هاخدها

نادر (مُبتسمًا): علشان عارف إني طالما طلبت فلوس يبقى في تحقيق جاي، بعد إذنك.

خرجت من مكتب أستاذ عماد وأنا مبسوط لحالة الاستفزاز إللي بسببهاله وإللي من المؤكد إني سببتها ليك أنت كمان وأنت بتقرأ، صدقوني أنا مش شخص مُستفز و لا حاجة، الحكاية و ما فيها إني تعبت و شقيت لحد ما وصلت للمكان إللي أنا فيه و للأسف كما جرت العادة إن المديرين ينسبوا

لنفسهم نجاح أي حد مُجتهد زيّي فكان قراري إني مش هسمح لحد أبدًا يسرق تعبي علشان هو مجرد منصبه أعلى مني في الشغل.

طبعًا عاوزين تعرفوا إيه حوار نحّاس؟

نحّاس ده شغال مُسعف وفي فطار رمضان إللي فات بتاع الجورنال لقيت شخص غريب جاي يسلم عليا وقالي:

نحّاس: حضرتك أستاذ نادر صح؟

نادر: أيوه تحت أمرك

عماد (ضاحكًا): والله وبقالك فانز وجايين يتصوروا معاك يا أستاذ نادر

نحّاس: لأ أنا مش بتاع تصوير والكلام ده، أنا جاي للراجل ده تحديدًا لأني قريت تحقيقاته في الجورنال وكل مرة بتأكد إنه إنسان مُخلص و مُجتهد و كل إللي بيقوله صدق وما فيهوش مبالغة أو كذب.

اعتدل نادر في جلسته وقال: وأنا يشرفني أسمع حضرتك، أؤمرني

نحّاس: أنا إسمي نحّاس عندي ٤٨ سنة و ببساطة كدة أنا شوفت أهوال كتير و حاجات تشيّب و دورت عليك كتير

علشان أحكيهالك لكني معرفتش أوصلك، وسُبحان الله النهارده ومن غير ترتيب ألاقيك قاعد بتفطر في الترابيزة إللي جنبي.

نادر: كله بميعاده ياعم نحّاس، اتفضل قول وأنا سامعك

نحّاس: لأ مش هينفع هنا، لا الزمان ولا المكان هينفعوا، الورقة دي فيها رقم التليفون كلمني بعد العيد وهحكيلك كل حاجة من طقطق ل سلامو عليكوا

نادر: بس أنا مافهمتش اشمعنى أنت إللي شوفت كمية الأهوال إللي قولت عليها

نحّاس: يكفيك إني أقولك إني شغال مُسعف؟

تبدلت ملامح نادر ونظر لنحّاس باهتمام أكتر

نحّاس: أيوه هو إللي جه في دماغك دلوقتي

عربية إسعاف وميتين بمليون شكل وطريقة و أسرار مايعرفهاش غير واحد زي إللي واقف قدامك دلوقتي

نادر: خلاص وصلت ياعم نحّاس، هكلمك.

طبقت الورقة وحطيتها في جيبي وقولت هكلمه فعلًا بعد العيد لعل وعسى نُخرج بتحقيق جديد.

وشَغل بالي حاجة غريبة جدًا، ومعرفش ليه فكرت في الموضوع كده، لاحظت إن عم نحّاس راجل مُصطنع، كلامه مرتب، وهدومه منمقة، ده حتى كان لابس بليزر عليه علامة ماركة، باين عليها إنها غالية جدًا، يعني أعتقد ده بمرتبه في شهر كامل، وأعتقد بردو إن شغلانة مسعف زيها زي أي شغلانة بسيطة، مش مدير بنك يعني عشان يلبس كده ويتكلم بالطريقة دي، ورجعت شيلت الأفكار دي من دماغي وقولت لنفسي مليش دعوة، الله أعلم بحاله وحياته، وبعد العيد مش بعيد إن شاء الله، أنا يهمني أكتب وأسمع، مش التحري عن الأحوال الاجتماعية..



عدى على الموضوع ده ٧ شهور وكل ما أجي أكلمه يحصل حاجة تمنعني، مرة أتشغل في تحقيق جديد، مرة أسافر البلد لأمي وأختي، بس أعتقد إن كده آن الآوان إني أكلمه، بس على الله ألاقي الورقة إللي فيها رقم تليفونه.

روحت البيت ومن قبل ما أغيّر هدومي قلبت الدنيا حرفيًا على الورقة، وإللي كُنت خايف منه لاقيته الورقة ملهاش أثر!

ما أقولكمش على كمية الإحباط إللي حسيته، جهزت وجبة

خفيفة و صبيت عصير البرتقال، اتغديت ودخلت أريح شوية مع إني مش من مُحبي نوم العصاري، فضِلت أتقلب على السرير

شوية أعصر في دماغي وأفتكر أنا شايل الورقة فين ولسه هروح في النوم لقيت باب الشقة بيخبط قومت فتحت الباب لقيت أخر حد كُنت ممكن أتوقعه واقف على الباب، نحّاس!!

نادر: إيه أنت، أنت، أنت!!

نحّاس: مالك يا أستاذ نادر؟ ما كنتش عاوز تشوفني ولا إيه؟

نادر: بالعكس أنا لسه كُنت بدور على رقم تليفونك، أنت عرفت عنواني منين؟ و ليه دلوقتي بالذات جيت لي؟!

نحّاس: حلم

نادر: يعني إيه؟

نحّاس: شوفتك إمبارح في حلم بتتصل بيا وبتقولي إنك عاوزني وحتى بتعتذرلي إنك اتأخرت عليا، صحيت من النوم و قولت لازم أجيلك بأي طريقة، فضِلت أدور لحد ما جبت عنوان الجورنال، ولما روحت قالولي إنك لسه ماشي من شوية ومارضيوش يدوني العنوان إلا واحد منهم خرج

ورايا برة وإداهولي، حتى بالأمارة إداني الورقة دي وقالي أوصلهالك وما تفتحهاش غير بعد ما أنا أمشي

نادر: لا تمشي إيه بقى إحنا عاوزين نتكلم

نحّاس: صدقني هنتكلم، متقلقش هجيلك الجورنال بكرة وهنتكلم

نادر: تمام إتفقنا هستناك بكرة.

وخرج نحّاس ودخلت أوضتي في اللحظة دي حسيت إن إيدي قافلة ومتبتة على حاجة، فتحتها لقيت الورقة إللي نحّاس إدهالي فتحتها لقيت مكتوب فيها عنوان في منطقة الحُسين، إيه العنوان ده؟

ومين من الشغل إللي باعتهولي؟

وباعتهولي ليه؟

على العموم بكرة مش بعيد.



تاني يوم الصبح من أول ما دخلت الجورنال و أنا عمال أسأل مين إللي قابل نحّاس من الموجودين، للأسف بسبب الشُهرة إللي اكتسبتها من كتاباتي بقى بيجي الجورنال ناس كتير يوميًا يا إما تسأل عني يا إما تسيب لي جوابات عن تجاربهم المُرعبة وعلشان كدة محدش إداني إجابة مُفيدة لسؤالي.

خمس ساعات هي مُدة إنتظاري لزيارة نحّاس كُنت مجهز

الورق و جهاز التسجيل و أقلامي علشان أدوّن و أسجل كل حاجة يقولها لكن للأسف مجاش.

طلّعت الورقة من جيبي وبصيت على العنوان المكتوب و كان القرار فعلاً زي ما إنتوا بتفكروا دلوقتي إن أنا أروح هناك.

لما اتحركت من الشغل كانت الساعة حوالي أربعة عصرًا وصلت العنوان حوالي الساعة خمسة ونص، البيت كان في حارة ضيقة تحسه بيت أثري عتيق، طلعت الدور التاني زي ما مكتوب في الورقة، فتحت لي لما خبطت واحدة سِت في أوائل الخمسينات.

نادر: هو ده بيت مين؟

السِت: خير اللهم اجعله خير، أنت مين يابني وعاوز مين؟

نادر: معرفش

السِت: هو إيه إللي ماتعرفش؟ جاي بتخبط عليا وبتقول مين؟!، هو حضرتك من بتوع التعداد ولا حرامي فاكرني حيلتي حاجة، أدخل دوّر بنفسك ولو لقيت حاجة ابقى خُدها

نادر: لأ أنتي فهمتي غلط طب تعرفي حد اسمه نحّاس؟

السِت: أنت عاوز إيه يابني من الآخر أنا مش قادرة أقف

نادر: معرفش أنا كل إللي أعرفه إن في واحد اسمه نحّاس جابلي الورقة دي وكان في اتفاق نتقابل وما إتقابلناش

السِت: نحّاس قالك إن أنتوا هتتقابلوا؟!

نادر: أقسم لك ده إللي حصل

السِت: اتفضل يابني أدخل

نادر: طب قبل ما أدخُل سؤال واحد، أنتي تعرفي نحّاس؟

السِت: نحّاس يبقى جوزي يابني بس هو حرّج عليا ما تكلمش مع حد غريب.

دخلنا، البيت من جوا بيت بسيط جدًا بيغلُب عليه الكآبة، وكان فيه برواز خضني، كان برواز كبير مرسوم جواه منظر طبيعي، لغروب الشمس على مقابر!!، محطتش في دماغي، لأن الست فضلت تلح عليا إلحاح شديد إني أشرب كوباية شاي، ووافقت..

السِت: أنا يابني اسمي راضية

نادر: عاشت الأسامي أنا عارف إنك قلقانة مني وده حقك بس لما عم نحّاس يشوفني هتتطمني

راضية: أنا افتكرتك يابني مش أنت إللي كُنت موجود في المطعم رمضان إللي فات وجوزي جه وقف معاك؟

نادر: بالضبط كده الله ينور عليكي

راضية: عاوز من نحّاس إيه؟

نادر: هو إللي عايز مش أنا إللي عايز وهو إللي إداني العنوان ده لما جالي إمبارح

راضية: أنت بتقول إيه يابني؟ نحّاس مات من ثلاثة شهور

نادر (بينه وبين نفسه): أنا مابقيتش أستبعد حاجة

راضية: أنت بتقول إيه؟

نادر: لا ولا حاجة علشان لو حد تاني سمع الكلام ده كان خاف وإستغرب وخرج يجري، لكن إللي قاعد قُدامك ده شاف وسمع كتير أوي

راضية: طب لما جالك إمبارح كان عاوز منك إيه؟

نادر: كان عاوزني أجي هنا علشان يحكيلي إللي عنده

راضية: إن كان على إللي عنده، فهو كان عنده كتير وياما قولتله بطّل تحكي أحسن الناس يقولوا عليك مجنون

نادر: طب ما تحكي أنتي لأن ديه هعتبرها وصيته إني أكتب إللي عنده

راضية: ويحصلي زيّ إللي حصله؟!!!

نادر: هو إيه إللي حصله؟

راضية: نحّاس ما ماتش موتة ربنا

نادر: كل الموت يا سِت راضية موت ربنا

راضية: لأ، إلا موتة جوزي

نادر: ممكن أعرف هو مات إزاي؟

راضية: هقولك في الوقت المُناسب

نادر: والوقت المناسب ده إمتى يا سِت راضية

راضية: لما تعرف إللي كان عاوز يحكيهولك الأول

نادر (محاولًا السيطرة على غضبه): هو إحنا هنفضل نلف وندور ورا بعض كتير النهاردة؟! هو إيه الوقت المناسب أو ابعتيني لحد من إللي قولتيلي إنه حاكلهم علشان يعرفوني إللي حصل

راضية: لأ

نادر: وأخرتها؟

راضية: مش الأستاذ بيعرف يقرأ بردو؟

نادر: على قدي

راضية: طب استنى

دخلت راضية جوا ورجعت معاها كشكول كبير وإدتهولي

راضية: قولتلك مش هتحتاج حد يحكيلك أي حاجة، نحّاس بنفسه حاكي كل حاجة هنا في الورق ده

أخدت الكشكول في حُضني كأني لقيت كنز وشكرتها و قومت بسرعة علشان أخلص من كلامها ومراوغتها ليا وأنا طالع من البيت قالتلي:

راضية: خلّص وارجعلي علشان أحكيلك إيه إللي حصل لنحّاس في أخر أيامه و إيه إللي حصلي أنا بعد ما هو مات، ونفس إللي قولتهوله هقولهولك ما تتكلمش مع أي حد عن إللي هتقرأه، مع السلامة يابني.



الفصل الثاني
(مُذكرات نحّاس)

روّحت البيت في زمن قياسي وعندي فضول أعرف مُذكرات نحّاس فيها إيه.

قعدت على السرير، طلّعت الورق و الأقلام و جهاز التسجيل وجهزت عصير البرتقال وبدأت أقرأ.

مبدئياً من الواضح إن المُذكرات دي اتكتبت على فترات مُتباعدة، بعض الورق قديم مُتهالك والبعض حالته متوسطة والبعض لسه جديد، ماينفعش أقول عليه كشكول زي ماهي قالت لإنه ببساطة هو عبارة عن ورق كتير متجمع من مصادر مُختلفة ومتدبس في بعضه.

خليني أقرأ لكم المُذكرات زي ماهي مكتوبة بالضبط.

مُذكرات نحّاس...

مش عارف أبدأ منين أنا لا بعرف أكتب مُذكرات ولا عمري مسكت ورقة وقلم كتبت حاجة غير تصاريح تسليم المصابين والأموات.

بس هكتب، هكتب أحسن ما يقولوا عليا مجنون، هكتب يمكن حد يصدق، هكتب قبل ما أموّت نفسي أو حد منهم

يموتني.

أنا اسمي نحّاس، ماشي في التسعة وأربعين سنة، بشتغل مُسعِف بقالي زيادة عن خمستاشر سنة، لو قولت إني نقلت ألف حادثة مش هكون كداب إن منهم 900 حالة وفاة، ده أنا زمايلي في الشغل سموني (نحّاس الموت علينا حق).

أنا وصلت لمرحلة إن كل ما بيجيلنا بلاغ بحادثة وبكون في الوردية بتاعتي بروح وأنا متأكد إني مش هلاقي ولا واحد عايش وهلاقيهم كلهم ميتين.

مش ده المهم، المهم إللي هحكيه دلوقتي..

القصة بدأت بحادثة كبيرة على الأوتوستراد كانت ميكروباص و عربية نقل، لما وصلنا لقيناهم كلهم ماتوا ماعدا شيخ كبير عُمره فوق التمانين سنة كان بيلفُظ أنفاسه الأخيرة وإحنا بنشيله كان عمال يقول: الأمانة منقولة.. الأمانة منقولة، الأمانة منقولة، وشاور بإيده بوهن وضعف شديد قربت ودني منه فقالّي: اقبلها يابني اقبلها

قولتله: هي إيه يا حاج؟

الشيخ: بالله عليك اقبلها دي أمانة ومسئولية

نحّاس: حاضر يا حاج ماتتعبش نفسك بس واهدى خالص.

كان رده عليا:

أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمد رسول الله

ومات! مات وسابلي ُلغز مش فاهمه و إللي اكتشفته إن المُسعِف إللي كان معايا ماسمعش أي حاجة من الكلام ده!

ده كمان بيحلف لي إني كُنت بكلم نفسي وإن الراجل ميت من وقت ما وصلنا.

طلعنا على القسم عملنا المحضر المُعتاد وإللي بنعمله دايماً في الحوادث ومنه طلعنا للتلاجة سلمنا الجثامين و كان ميعاد ورديتي خلص وروّحت، أقدر أقول إن من اليوم ده حياتي اتبدلت ١٨٠ درجة و البداية كانت بأحلام كتير جدًا كل ليلة بالشيخ إللي كان في الحادثة، الأحلام كانت عبارة عن إعادة كل إللي حصل من وقت ما روحت مكان الحادثة لحد ما سلمت الجُثة ورسايل تانية غير مفهومة، لحد ما في يوم كُنت بنقل جُثة واحد وواحدة من بيتهم، إللي حصل وإحنا في الطريق وزميلي السواق جنبي فجأة زغرودة جت من مكان الجُثث أنا حرفياً موتت في جلدي لدرجة إني مابقيتش عارف أنطق وبصيت لزميلي لقيته مركِز في الطريق وكأنه ماسمعش أي حاجة، فمكنش قدامي غير إني ألتزم الصمت، مفيش دقيقة أو دقيقتين بالكتير وانطلقت الزغرودة التانية، صرخت في زميلي و قولتله أنت مش سامع إللي بيحصل؟

قالي: لأ مش سامع حاجة

مكملش الجُملة و إذ بصوت طبل و دفوف وزغاريد ينطلق من عند الجُثث، إلتفت ورايا لقيت الجُثتين قاعدين! صرخت في زميلي و طلبت منه يوقف العربية، نزلت أجري من العربية و فتحت الباب إللي ورا لقيت الجُثث نايمة على السراير زي ما حطناهم بالضبط وزميلي مفيش على لسانه غير أنت إتلبست يا نحّاس، أنت اتلبست يا نحّاس، حلفت ما أنا مكمل المشوار في العربية، قولتله اسبقني وهحصلك بالمواصلات.

إللي عرفته بعد كده إن الإتنين دول كانوا عرسان وماتوا بتسريب غاز يوم فرحهم.

ده كان أول موقف أتعرض له و بدأت المواقف تتوالى.

تاني مرة كُنا بننقل جُثة سِت ماتت في انهيار عقار، إحنا نقلنا في الحادثة دي جُثث كتير ودي كانت أخر جُثة، كُنت يومها أنا إللي سايق العربية و زميلي جنبي لأنه كان مطبق ورديتين فعرضت عليه إني أسوق و وافق، في عز كلامنا أنا وهو سمعت خبط من ورا إلتفت ورايا زي المجنون مفيش حاجة، فكملت سواقة سمعت صوت واحدة سِت بتقولي: بنتي لسه هناك، إلتفت بسرعة لزميلي وقولتله مش معقولة تكون مش سامع إللي أنا سامعه؟

فجاوبني بنفس الرد بتاع المرة إللي فاتت إنه مش سامع أي حاجة، لحد ما وصلنا الجُثة للتلاجة واستلمها العامل منّا وأنا مابسمعش غير «بنتي لسه هناك» بشكل متكرر ومُستفز لدرجة إن أنا زعقت وأنا واقف في الشارع خلاص عرفت، خلاص عرفت، ارحميني.

ورجعت بسرعة لمكان العقار المُنهار و قولت للي موجودين هناك لقيتوا جُثث تانية؟

فكان ردهم إن الجُثة إللي أنا خدتها كانت أخر جُثة في المكان كله.

قولتلهم مستحيل، في جُثة لسه ما طلعتش لبنت السِت إللي كانت معايا، و بعد نقاش استمر لعِدة دقايق أقنعتهم يكملوا تنقيب و كانت المفاجأة إنهم فعلًا طلّعوا جُثة بنت في اوائل العشرينات و كلهم في عينيهم ونظراتهم تساؤلات كتير ليا مش لاقيين لها إجابة، أنا نفسي مش لاقي إجابة.

و توالت الحوادث واستمر تواصل الأموات إللي بنقلهم معايا.

كُنت أنا و زميلي بننقل واحدة سِت جالها غيبوبة سُكّر بالليل متأخر، و كان زميلي مشغّل كعادته أم كلثوم.

وابن السِت كان ورانا بعربيته والمريضة ورا..

كُنت مُندمج جداً مع أم كلثوم و هي بتقول:

بعد حينٍ يبدّل الحُب دارَه

والعصافيرُ تَهجُرُ الأوكارَ

وديار كانت قديماً ديارَ.

وسمعت وسط الأغنية صوت نهنهة وبُكاء مُنخفض

فقولت لزميلي: أنت مهبب إيه في الأغنية؟

قالي: مهبب إيه مش فاهم؟

نحّاس: مخلي واحدة تعيط جوا الأغنية!

زميلي: إيه ده! هو أنا مابيتهيأليش؟!

نحّاس: لأ ياخويا، هو ده مش أنت إللي عامله؟

زميلي: أقسم بالله الشريط ده موجود على طول بتاع هذه ليلتي و أول مرة أسمع العياط ده جوا الأغنية.

وفي عز كلامنا، بصيت بالصُدفة ورا، لقيت السِت قامت قعدت و شدت ماسك الأكسجين من على وشها، و التفتت لي وبعزم ما فيها حدفت ماسك الأكسجين بالخرطوم بتاعه عليّا، أنا وطيت بحركة لا إرادية ومن غير ما أقصد خبطت

زميلي ففرمل بسرعة.

إلتفت ورا لقيت السِت نايمة زي ماهي و الماسك على وشها!!!!

لما نزلنا علشان ندخلها الطوارئ لقيت الماسك مفصول عن أنبوبة الأكسجين أو تحديدًا مقطوع بفعل فاعل!

ربنا ستر والسِت ماكنتش ماتت يومها.

مش هنسى في مرة لما كُنت بنقل جُثة راجل مراته قتلته، طول الطريق حرفياً كُنت بسمع أفظع شتائم من جُثة الراجل و تهديدات ليا إنه هيجيلي ويطلّع على جتتي البلا.

إنتوا متخيلين هل في بني أدم يتحمل إللي أنا إتحملته ده؟!

الموضوع عمّال يزيد و أنا حالتي بتسوء و قدمت طلب إني أتنقل لأي وظيفة مكتبية وإني منقلش لا جُثث و لا مُصابين تاني، قدمت الطلب ده تحديداً بعد حادثة مُعينة حسيت بعدها إني لو منسحبتش هتجنن ده إذا كُنت لسه ما إتجننتش أصلًا، الحادثة دي كانت في عز الشتا والجو كان مغيّم و الدنيا قالت هاتك يا مطرة واتبلغنا إن في أتوبيس شركة عمل حادثة مع عربية نقل، لما وصلنا شوفت منظر غريب جدًا، شوفت كل المُصابين واقفين على الرصيف

وغرقانين في دمهم ولا بيتحركوا ولا بيعملوا أي حاجة، جريت عليهم أسألهم و أحاول أساعدهم محدش فيهم رد عليا كأنهم منومين مغناطيسيًا، لقيت زميلي جاي من ورايا بيقولي: أنت واقف بتهبب إيه عندك هو أنا هشيل الميتين دول كُلهم لوحدي؟

قولتله أديك قولت ميتين مش أولى نشوف المُصابين دول الأول نطمن عليهم

رد عليا: مُصابين مين؟ كل إللي في الحادثة ماتوا

قولتله: سلامة نظرك أُمال دول مين؟ و شاورت على إللي واقفين على الرصيف ولقيتهم كُلهم مُبتسمين.

قالي: هو إحنا مش هنبطل شُغل المجانين ده بقى؟ مش قد الشُغلانة يا نحّاس سيبها، الرصيف فاضي مفيش عليه أي حد و الجُثث كلها مرميّة على الأرض قُدامك.



كل الجُثث إللي في الأرض كانت نُسخة طِبق الأصل من إللي واقفين على الرصيف فأيقنت إن حالتي بتسوء لأني لازم أسيب الشُغلانة دي.

ليلتها لما روّحت البيت كُنت واخد القرار بأني أتنقل من العمل الميداني ده أو أسيب الشُغلانة خالص.

حكيت لراضية مراتي كل إللي حصل من أول ما شوفت الشيخ لحد الحادثة الأخيرة فكان ردها: بلاش تتكلم مع حد

وما تقطعش عيشك بإيدك.

دخلت إترميت على السرير وأنا مش عارف إيه القرار الصح إللي لازم يتاخد، معرفش نمت قد إيه لكني صحيت مخنوق مش قادر أتنفس مش قادر حتى أمد إيدي أجيب المية إللي جنبي أشربها، و في وسط الضلمة شايف ناس كتير واقفة في الأوضة واقفين زي التماثيل مش عارف أشوف ملامح وشوشهم من الضلمة لكن شايف هيئتهم كويس و عددهم إللي يتجاوز عشر أفراد، بصعوبة بالغة قدرت أحرك إيدي و مديتها للأباجورة علشان أنّور الأوضة يادوب لمست الزُرار والأباجورة نوّرت و حسيت بإيد متلجة قبضت على إيدي، لما الأوضة نوّرت مفيش حاجة اختفت زي ما بتقولوا في كُتب الحواديت بالعكس كل حاجة بقت أوضح، نفس الجُثث إللي كانت على الرصيف متلطخة بالدم واقفين حوالين السرير وواحد منهم هو إللي كان ماسك إيدي علشان ما أنوّرش الأباجورة، أنتوا متخيلين الموقف؟

تخيل نفسك نايم على السرير وتصحى تلاقي أكتر من عشر جُثث واقفين حوالين السرير ومحاوطينه وكُلهم عنيهم الباردة الخالية من الحياة متسلطة عليك، أنا معرفش المفروض الواحد في المواقف إللي زي كده يعمل إيه ويتصرف إزاي!

كل إللي عملته إني قريت بعض آيات من القرآن فكان رد فعلهم إنهم إتكلموا كُلهم مع بعض بصوت واحد عميق مُخيف كأنه جاي من الجحيم و قالوا: لا تترُك الأمانة، لا تترُك الأمانة، لا تترُك الأمانة وفتحوا الباب وخرجوا واحد ورا التاني، طبعًا محدش شاف ولا سمع غيري كالعادة، وهنا كان قراري النهائي إني هسيب الشغل أو هتنقل وإللي يحصل يحصل.

دلوقتي أنا بالفعل إتنقلت وسِبت المجال الميداني كُله وكُنت فاكر إن هو ده العلاج بس للأسف إللي أدركته مؤخرًا إني فتحت على نفسي باب من أبواب جهنم.

بعد ما كُنت بشوف الميتين و بسمع أصواتهم في عربية الإسعاف، دلوقتي بقيت بشوفهم في كل مكان حواليا و بعد ما كانوا مُجرد إنهم بيوصلولي رسالة أو استغاثة دلوقتي بقوا يعذبوني نفسيًا و جسدياً ليل نهار وبيأكدولي إن الأمانة اتقلبت عليا بعد ما خونتها وإن إللي باقي في عُمري مُجرد أيام، حاولت أتدارك الأمر و أرجع للشغل الميداني تاني لكن للأسف الوضع ماتغيرش والموتى بيطاردوني و كأنهم بينتقموا من ملك الموت في شخصي و بعد ما كُنت أنا أحد أذرُع ملك الموت لتوصيل الموتى للتلاجات بقيت ضحية لأرواح خبيثة قررت إن هي تسلمني لملك الموت بمنتهى البُطء الرهيب.

أنا معرفش علاج إللي عندي ده إيه، أنا مش عاوز أموت ولا مُستعد للمواجهة دي دلوقتي.

دي أخر حاجة بكتبها و إللي يُقع في إيده المُذكرات دي أكيد هيكون بيقراها وأنا ميت وهنصحك نصيحة، مش كُل أمانة نقدر نحملها ونكون أُمناء عليها..

انتهت مُذكراتي..

النحّاس..

أنهيت تصفُح مُذكرات نحّاس كانت الساعة حوالي عشرة بالليل بدون ما أفكر كتير كُنت في الشارع رايح الحُسين أقابل زوجته، المشوار ماخدش وقت كتير علشان كُنا بالليل ومع أول خبطة على الباب كانت فتحالي.

راضية: كُنت مُتأكدة إن أنت

نادر: ما هو أنا لازم أعرف، أنا مش هينفع تسيبيني متعلق كده

راضية: اتفضل، قريت كُل حاجة؟

نادر: أه ومحتاج أعرف منك إيه إللي حصل بعد كده

راضية: وفهمت إيه من إللي قريته؟

نادر: فهمت إن نحّاس من بعد ما قابل الشيخ وحياته بقت صعبة جدًا وماستبعدش إنه يكون انتحر، بجد الله يكون في عونه على إللي مرّ بيه وشافه

راضية: نحّاس كل يوم كانت حالته بتكون أصعب من اليوم إللي كان قبله، بقى عصبي، قاعد لوحده طول الوقت، مش طايق يقعد مع حد و لا طايقلي كلمة، بقى ياكل لوحده ساعات ياكل زي إللي ماكلش من أسبوع و يخلص طبق واتنين و تلاتة وساعات أشيل الأكل زي ما بحطه، وكل أما أجي أفاتحه في الحال إللي وصله يزعق ويقولي مش أنتي قولتي ماتتكلمش مع حد وأنتي ماتفرقيش عن أي حد.

أنا قررت أواجه إللي أنا فيه بنفسي وأحل المشكلة دي من غير مُساعدة حد.

بتكمل راضية كلامها وبتقول:

لحد ما لقيت في يوم عادل زميله بيتصل بيا على تليفون البيت و بيقولي: عقّلي جوزك يا راضية

غيّر شُغله وقولنا ماشي إنما يسيب الشغل خالص ده كده اتجنن رسمي.



الأيام الأخيرة في حياة نحّاس كانت صعبة جدًا، شكله بقى عامل زي الميتين تحت عنيه أسود و وشه أصفر، كان بيدخل الحمام يقعد بالساعات و أسمعه بيزعق ويقول: ابعدوا عني، أنا مش عايز الأمانة دي، كُنت بحاول بأي طريقة أمنع إللي خايفة منه يحصل، وقبل الموت بيوم جالي تليفون من واحد اسمه حمدي قالي: إنه شغال حارس لتلاجة الميتين إللي دايماً نحّاس بيسلم الجُثث فيها و قالي بالحرف:

إلحقي جوزك أول إمبارح كان بيقولي إنه لازم يموت و لما سألته ليه؟ قالي إن الميتين مش سايبينه، ماقدرش أقولك إن جوزك عنده مرض نفسي بس هقولك إن جوزك اتمس وإللي بيشتغل مع الميتين ياما بيشوف و لو حكيتلك عن إللي أنا بشوفه هقولك على حاجات تشيّب، ربنا يلطف بيه وبينا.

راضية: مفيش عدى يومين ولقيت الناس بتخبط على الباب وداخلين شايلين نحّاس ميت، إللي يقولي وقع في الشارع و إللي يقولي فضل يبُص للسما ويصرخ، واللي قال كان بيقول أنا خلاص سلمت الأمانة ومستعد للموت، ومفهمتش حاجة يا ابني

نادر: أنتي قولتي إن حصلك حاجات بعد موت نحّاس

راضية: من وقت ما شوفت وشه وهو ميت كانت عينيه مفتوحة على الأخر وبوقه مفتوح هو كمان، بقيت كل لما أبص للمرايا بشوف الوش ده و بقيت لما بنام بشوفه وهو بيصرخ وبيجري في صحرا وبيجري وراه ناس متكفنة لحد ما يلحقوه و يرقدوه في الأرض ويفضلوا يعضوا في جسمه، أصحى بعدها من النوم ألاقي جسمي مليان عضّ وكأن أنا إللي كانوا بيعضوني مش هو لحد ما جسمي اتشوه

نادر: وبعدين إيه إللي حصل؟

راضية: كل حاجة انتهت فجأة زي ما بدأت وكُنت مقررة إني مش هفتح الموضوع ده مع أي مخلوق مهما حصل، ممكن أطلب منك طلب؟

نادر: اتفضلي

راضية: انساني يابني وما تجيش هنا تاني لأنك قلّبت عليا مواجع كتير ماحبش أفتكرها واتفضل مع السلامة.

خرجت من عند راضية وأنا معايا نهاية مأساة نحّاس، نهاية اللعنة إللي قصدته بدون ما يكون له يد أو دخل فيها.

يمكن فعلًا هي كانت أمانة بس الأكيد إن مش كل أمانة يقدر أي شخص إنه يشيلها.

الفصل الثالث
(اختفاء و عودة)

مع نسمات فجر يوم جديد كُنت بفتح باب شقتي مُنهك تعبان محتاج أترمي على أقرب كُرسي يقابلني، علشان حتى مش هقدر أوصل أوضتي وفعلًا ده إللي حصل بمُجرد ما دخلت وقفلت ورايا الباب إترميت على أول كُرسي قابلني وفي ثواني معدودة كُنت نايم.

لما صحيت حسيت كأني كُنت نايم لأيام متواصلة، فضلت شوية قاعد على الكُرسي بحاول أسترجع كُل إللي حصل وبمجرد ما لقطت أول خيط فتحت شنطتي بسُرعة وبصيت في الورق وقريت المُلاحظات إللي كاتبها واتأكدت إن كل ده حصل مش مجرد حلم، مخبيش عليكم أنا مؤخرًا الواقع والأحلام بقوا مُختلطين جدًا عندي ببعض لدرجة إن أوقات كتير مابقدرش أميّز بينهم، هل ده بسبب كُتر إللي مريت بيه ولا بسبب لعنة قديمة اتعرضتلها مع دخولي مجال ما وراء الطبيعة ولسه بدفع تمنها لحد دلوقتي.

قومت أخدت دُش و دورت في التلاجة على أي أكل أفطر بيه، لبست و نزلت الشغل بمُجرد ما وصلت قابلني مديري المُباشر أستاذ عماد بنظرة استغراب وقالي:

عماد: أنت لحقت؟

نادر: أيوه لحقت

عماد: بس مش عادتك إنك تختفي يوم واحد ده أنت حتى مكملتش يوم، بقولك إيه يا نادر أنا مش عاوز كروته في الشغل وبعدين لما أنت تكروت أمال الباقيين دول يعملوا إيه!

نادر: بعد إذنك يا أستاذ عماد علشان أنا هدخل مكتبي وأعيد صياغة التحقيق.

سِبته ودخلت المكتب وطلبت فنجان قهوة و طلّعت كل الورق إللي معايا بما فيها مُذكرات نحّاس ولأول مرة أنسى أسجل على شرايط الكاسيت، معرفش هل ده بسبب اندماجي الشديد مع راضية وهي بتحكي لدرجة إني نسيت إني جاي في مأمورية عمل، ولا فيه حاجة خلتني أنسى أسجل بفعل فاعل.

مش مشكلة، الموضوع لسه طازة ومش هنسى أي تفصيلة إن شاء الله.

بدأت أسرد كل حاجة بالتفصيل مع وضع بعض لمساتي الصحفية إللي بتضيف تشويق للقارئ، طبعا بدون أي تحريف في الأحداث، معرفش فضلت أكتب قد إيه لدرجة إن إيدي مبقتش حاسس بيها لكني بردو مكمل لحد ما وصلت عند

جُملة قالتهالي راضية قالتلي:

قبل الموت بيوم جالي تليفون من واحد اسمه حمدي قالي إنه شغال حارس لتلاجة الميتين إللي دايمًا نحّاس بيسلم الجُثث فيها وقالي بالحرف:

الحقي جوزك أول إمبارح كان بيقولي إنه لازم يموت ولما سألته ليه؟، قالي إن الميتين مش سايبينه، ماقدرش أقولك إن جوزك عنده مرض نفسي بس هقولك إن جوزك اتمس وإللي بيشتغل مع الميتين ياما بيشوف ولو حكيتلك عن إللي أنا بشوفه هقولك على حاجات تشيّب، ربنا يلطف بيه وبينا.

أخر جُملة قالها حمدي وقفت قُدامها كتير ولقيتني بقول لنفسي هو أنا ليه ما روحتش لحمدي؟

ده أنا قُدامي كنز تاني و خبايا تانية لشخص انخرط مع الأموات، والله فكرة أكمل التحقيق بيه ويبقى إسمي سجلت مع مُسعِف ومع عامل تلاجة، دلوقتي مطلوب مني أوصل لحمدي، قفلت الورق ودخلت مكتب أستاذ عماد مديري المُباشر.

نادر: التحقيق لسه ماخلصش على فكرة

عماد: عال جدً ا، أفهم من كده إنك هتنزل تاني؟

نادر: ده متوقف على ردك

عماد: ردي على إيه؟

نادر: في واحد اسمه حمدي عامل في تلاجة أموات، اتصرف وصلني بيه أو هاتلي عنوانه

عماد: طب هو في أي مستشفى طيب

نادر: أنا لو كُنت أعرف ماكُنتش جيت طلبت منك

عماد (بعد صمت دام لدقائق): حاضر يا نادر أنا هتصرف اتفضل روّح وبكرة ربنا يقدم إللي فيه الخير.

رجعت مكتبي أخدت كل متعلقاتي وقولت هبقى أكمل كتابة التحقيق الخاص بنحّاس في البيت، وأول ما رجعت البيت حسيت بحاجة مش طبيعية، إحساس غريب كإن كان فيه نفس جوه البيت، زي ما يكون كان في حد هنا، أو لسه هنا!!. سيبت كل حاجة من إيدي، روحت أدوّر بحذر في كل أرجاء البيت على مجهول أنا نفسي معرفش بدوّر على إيه؟!، وفي عز إندماجي في البحث، صرخت وإتنفضت في مكاني!!، حسيت بإيد خبّطت على كتفي!!، إلتفت ورايا ولقيت ورقة متعلقة على باب التلاجة، مكتوب فيها:

حمدي مصطفى ميرزا، زفتى - الغربية، عايش في فيصل

مواعيد شغله في التلاجة الموتى من ٨ مساءً ل ٨ صباحًا..

لو اتحركت كمان ساعتين هتكون عنده و هو بيستلم الوردية بتاعته.

قربت من الورقة وأنا مش مصدق عنيا!، مديت إيدي ببطئ وأخدتها من على التلاجة، وبدأت أقلبها وش وضهر، وأغمض عنيا وأفتحها يمكن أكون بحلم أو بتخيل، وسمعت صوت بيقولي:

(متستغربش. لسه الطريق بيبدأ، واللي مستنيك كتير أوي).

كنت عارف الصوت كويس، ده صوت نحّاس!!..

الفصل الرابع
(من داخل تلاجة الموتى)

في الميعاد المُحدد كُنت مجهز شنطتي، ومتحرك للعنوان إللي قريته في الورقة اللي لقيتها على تلاجتي

كعادة الطُرق عندنا في الوقت ده بتبقى زحمة جدًا، على ما وصلت الساعة كانت بعد تسعة، ولعلمكم ده كان مصلحة لأني لما روحت الدنيا كانت هادية تمامًا برة.

خليني أوصفلكوا المكان..

تلاجة الموتى بيغلُب عليها من برة كآبة رهيبة، يكفيك إنك عارف إن كل إللي جوا مجموعة أدراج وأرفُف شايلة جُثث منهم الغريق، ومنهم إللي مدبوح، ومنهم إللي مضروب بالرصاص، ومنهم مات على سريره، منهم إللي مات وساب وراه ألغاز محدش فاهمها، منهم إللي مات وساب وراه أسرة تعيسة مُستقبلها مُظلم، منهم إللي سايب أسرة كانت بتتمنى اللحظة دي من زمان، منهم إللي عاش في قصور ومنهم إللي عاش في عِشش، منهم إللي مالوش حد وآخرته مقابر الصدقة، عاش غريب ومات غريب، منهم إللي هيتعمله أفخم عزا.

و برغم كل الاختلافات دي، كلهم بيجمع بينهم شيء واحد،

الشيء ده هو التراب إللي كُلهم هيترموا عليه وهيغطيهم وهيحولهم فريسة للدود ينهمش فيهم، مُجرد الفكرة نفسها مُخيفة ومُقبضة.

قطع تفكيري و تأمُلي وأنا واقف قدام التلاجة صوت بيقولي: خير يابني، أنت ليك حد جوا؟

بصيت للي بيتكلم لقيت شخص هزيل، نحيف، أقرب للموت منه للحياة، بيدُخن سيجارة وإيده بتترعش ونظرات عينيه خاوية، وفي إيده التانية كوباية شاي تقريبًا نُصها وقع على الأرض من رعشة إيديه، ماكُنتش محتاج وقت كتير علشان أستنتج إن ده هو حارس التلاجة أصل زي مابيقولوا سيماهُم على وجوههم.



نادر: أيوة، بصراحة واحد قريبي مفقود وقالولي ألِف على التلاجات يمكن ألاقيه

حمدي عامل التلاجة: فهمت، فهمت، اتفضل تعالى.

- دخلت وراه وكعادة أي عامل تلاجة خبّط على باب التلاجة الرئيسي ودخل وأنا وراه

حمدي: أنا عندي ثلاثة جُثث بتوعي محدش اتعرف عليهم

نادر: بتوعك؟!

حمدي: أيوة إحنا في شُغلانتنا طالما الجُثث موجودة في تلاجة المشرحة إللي شغالين فيها بنقول بتاعتنا، قولّي الأول أنت شوفت جُثث قبل كده؟

نادر: يعني، ليه بتسأل؟

حمدي: أصل ياما ناس كتير جت تتعرف على جُثث ووقعت من طولها، مش كُل الناس بتتحمل المنظر، أكيد أنت عارف إن شكل الجُثث بيكون صعب خصوصًا بقى لو ميت غريق أو مسموم أو مدبوح

نادر (مُقاطعًا): عم حمدي أنت تعرف راضية ونحّاس؟

حمدي: مين دول؟

نادر: نحّاس المُسعِف و راضية مراته

حمدي: أه.. أه.. الله يرحمه و يحسن إليه، هو أنت تعرفهم؟

نادر: راضية إللي بعتاني ليك ياعم حمدي

حمدي: ليه؟

نادر: حَكِتلي عن مكالمتك ليها قبل ما نحّاس يموت بيومين

حمدي: طب مش هي حكِتلك، إيه المطلوب مني؟ أحكيلك تاني؟

نادر: أه هتحكيلي بس مش عايزك تحكي عن نحّاس

حمدي: ُأمّال؟

نادر: أنت قولتلها بالحرف إنكوا بتشوفوا حاجات كتير غريبة، أنا عاوز أعرف إيه هي الحاجات الغريبة دي؟

حمدي: بصِفتك إيه يا أستاذ؟!

نادر: هو لازم يكون ليا صِفة علشان تحكي؟

حمدي: مش القصد، أصلك مادخلتش دوغري من الأول

- تعالى معايا سِكة كده و قولي أنت مين وعاوز إيه بالضبط

نادر: حاضر، بُص يا سيدي أنا صحفي و بعمل تحقيقات مع المُسعِفين واسمك اتذكر في التحقيق، فقولت أجيلك

حمدي: تحقيق! كفى الله الشر، هو أنا عملت إيه؟

نادر (ضاحكًا): في شُغلنا تحقيق يعني موضوع

حمدي: هتدفع كام؟

نادر: طب ماتيجي أنت كمان سِكة وكُنت تقول ده من

الأول، ٢٠٠ جنية كويس؟

حمدي: رضا

نادر: اتفضل، نبدأ بقى؟

حمدي (بإبتسامة عريضة): اسأل و أنا تحت أمرك

نادر: احكيلي ياعم حمدي عن الحاجات إللي تخوّف إللي بتحصلك هنا

حمدي (ساخرًا): أنا مابخافش يا أستاذ

نادر: خلاص خلينا نقول على أغرب مواقف حصلت هنا

حمدي: خليني أبدأ لك بحكاية لسه حاصلة من أسبوع، استلمنا جُثة لواحد ميت في حادثة ودخلتها التلاجة بإيدي لحد ما الدكتور ينزل، وبعدها بيجي ساعة، الدكتور جالي وطلب يشوفها، خدته ودخلنا التلاجة لقيت الرف بتاعها مفتوح والجُثة مش موجودة، الدكتور نزل تهزيق فيا وقالي: هنروح في ستين داهية بسبب إهمالك الجُثة اتسرقت يا زفت، هاتلي مفتاح التلاجة.

وقفل التلاجة وقالّي: خليك قاعد هنا أنا هطلع أقلب الدنيا فوق قبل ما أبلّغ يمكن حد يكون طلّعها.

حمدي: حد مين يا دكتور؟ محدش دخل التلاجة من وقت

ما الجُثة جت

الدكتور: كدة يبقى موقفك أصعب، ماترغيش كتير خليني أشوف هعمل إيه.



وخد المفتاح و طلع وسابني عمّال أضرب أخماس في أسداس، مين له مصلحة يأذيني ويسرق الجُثة من غير حتى ما ألمحه.

بعد حوالي نُص ساعة لقيت الدكتور نازل وعلى وشه خيبة أمل كبيرة

حمدي: إيه الأخبار يا دكتور؟

الدكتور: أخبار زي وشك، الجُثة ضاعت وأنا مُضطر أبلّغ

حمدي: يا دكتور أقسم لك بالله أنا ما اتحركت من هنا، أنا معرفش إزاي الجُثة اختفت..

وفي عز كلامنا مع بعض سمعت صوت أنا عارفه كويس صوت رف من إللي بيتحط فيه الجُثث، بصينا لبعض إحنا الإتنين والدكتور خد المفتاح وجري فتح باب التلاجة وكانت الصدمة! الجُثة موجودة في مكانها وعلى وشها ابتسامة ترعب أكتر من ابتسامة إبليس نفسه.

الدكتور: هو إيه ده؟!

حمدي: مش مهم يا دكتور المهم إن الجُثة رجعت

الدكتور: إزاي يعني! أنا لولا واخد المفتاح معايا كُنت قولت إن إللي سرقها دخل رجّعها

حمدي: ماهو مش لازم إللي سرقها يا دكتور يكون بني أدم، الأوضة دي ياما حصل فيها حاجات كتير ملهاش تفسير وأنا عوّدت نفسي مافكرش كتير و لا أشغل بالي

الدكتور: بالنسبة للجُثة إللي بتضحك دي هي كانت كده؟

حمدي: لأ طبعًا

الدكتور: خُد يا حمدي المفتاح أهو، أنا هطلع أشوف ورايا إيه.

نادر: يعني الجُثة اتحركت ياعم حمدي ولا إيه بالضبط؟

حمدي: أه عادي، الحكاية إللي هحكيهالك دلوقتي هتأكدلك إن الميتين بيمشوا ويتحركوا ويعملوا كل حاجة بس مش كل الناس بتقدر تشوف ده.

-في مرة ابني الكبير كان عندي هنا كان بيشتري لسِتّه راديو ترانزيستور علشان بتحب تشغّل القرآن جنبها طول اليوم والراديو بتاعها باظ، وبعد ما اشتراه عدى عليا وقعد معايا شوية كُنا بعد العِشا وخرجت أشتري كيسين سكر وشاي وقولتله أقعد هنا لحد ما أرجع.

لما رجعت ما لقيتهوش اتصلت عليه كذا مرة مردش، مفيش عشر دقايق وسمعت صوت واحدة بتصوّت من جوا التلاجة! الدم نشف في عروقي، خبطت على باب التلاجة ودخلت ما كانش في أي صوت فِضلت واقف شوية مستني أي حاجة تحصل تاني يادوب بتلفت علشان أخرُج والصرخة

اتكررت تاني ولقيتلك بعدها الأرفف كُلها بتتنفض وخبط جامد عليها كأن الميتين صحيوا وعاوزين يخرجوا.

في الموقف إللي زي ده ماينفعش أهرب، فضلت أفتح الأرفف واحد ورا التاني، كُنت كل ما أفتح رف إما ألاقي الجُثة مقلوبة على بطنها أو على جنبها لحد ما وصلت لواحدة شوفت منظرين عُمري ما أنساهم.

أولًا: الجُثة على ضهرها والمشمع إللي ملفوفة فيه مقطوع ووش الستِ عليه غضب ربنا، كانت فاتحة بوقها على الأخر كأنها بتصرُخ.

أما المنظر التاني: فكان جهاز الراديو والتسجيل الصُغير إللي اشتراه ابني وكان شغال شريط عمّال يقول كلام مش مفهوم بس الحقيقة كان كلام يخوّف.

نادر: فاكر حاجة من الكلام ده ياعم حمدي؟

حمدي: فاكره كُله، كان بيقول:

- أقسمت عليكم في ثُباتكم العميق

- أن تستجيبوا وتستيقظوا

- بحق كائنات الظلام

- بحق شمهورش وسيلبا والملك الأصم

- أقسمت عليكم أن تقوموا من ثُباتكم

- بحق من يسكنون جوف الأرض

- بحق من يسكنون الجانب الآخر

- وبأمر عازر بن مردوخ

- وبحق صارم سليل الأبالسة

- استجيبوا و إلا تهلكوا

- أقسمت عليكم في ثُباتكم العميق

- أن تستجيبوا وتستيقظوا

- بحق كائنات الظلام

- بحق شمهورش وسيلبا والملك الأصم

- أقسمت عليكم أن تقوموا من ثُباتكم

- بحق من يسكنون جوف الأرض

- بحق من يسكنون الجانب الأخر

- وبأمر عازر بن مردوخ

- وبحق صارم سليل الأبالسة

- استجيبوا وإلا تهلكوا



كان عم حمدي بيقول الكلام ده وأنا برردده جوايا، وحسيت إني عارفه، أو سمعته أو شوفته قبل كده، بعض الكلمات مش غريبة عليا!!، وقطع تفكيري عم حمدي وهو بيقول:

حمدي: الكلام ده يابني كان صعب و يخوُف أنا نفسي إللي مش ميّت أهو جسمي اتنفض لما سمعته

نادر: وعملت إيه ياعم حمدي

حمدي: من غير تفكير شِلت جهاز التسجيل رزعته في الأرض اتكسر 100 حِتة، و جريت جبت الراديو بتاعي شغلته على القرآن وعلّيت الصوت وسِبته في التلاجة وجريت قعدت برة، الدنيا بعدها هديت تمامًا والميتين هديوا

نادر: وعملت مع ابنك إيه؟

حمدي: لما روّحت جِتته علّمت من كُتر الضرب إللي ضربتهوله

نادر: ومعرفتش منه عمل كده ليه؟

حمدي: النت والزفت، قالي إنه قرأ حاجة مكتوبة تخلي الميتين يصحوا وحب يجربها في الميتين بتوعي إللي في التلاجة وإذا نِفعت هيعملها مع أخته هناء الله يرحمها، إللي من يوم ما اتوفت ونور حياتنا كُله اتطفى.

نادر: البقاء والدوام لله ياعم حمدي

حمدي: الله يكرمك يابني

نادر: هو كل إللي بيحصل في التلاجة حاجات تخوّف؟

حمدي: بالعكس في ناس بتيجي وعلى وشّها ابتسامة

تحس إن شوية وهينطق

نادر: شوفت ده بعنيك؟

حمدي: أيوة مع بنتي، لما إتنقلت من المستشفى للتلاجة بعد موتها بالمرض الخبيث، كان على وشها ابتسامة رضا و فرحة بعوض ربنا ليها في الجنة، يمكن ده برّد قلبي عليها وكل ما أجي أحزن أو أفتكر تعبها، أفتكر وشّها البشوش وأفتكر لما كُنت بقرأ لها القرآن وهي في التلاجة وحسيت بإيدها الضعيفة وهي ماشية على شعري.



نادر: أنا أسف إني قلّبت عليك المواجع

حمدي: لأ يابني الموت علينا حق.

نادر: كمّل ياعم حمدي

حمدي: كُنت في مرة سهران و شاري رغيفين حواوشي وإزازة حاجة ساقعة وحاطط الكُرسي على باب التلاجة وقاعد، لسه بفتح الأكل وسمعتلك جاي من جوا التلاجة

صوت عّيل صغير بينادي عليا

قولتله: أخلّص اللُقمة و بعدها هرُد عليك.

الصوت اتكرر بس من واحدة سِت و ناديت عليا بإسمي ووراها صوت راجل والتالت والرابع تقولش جوا في مولد..

زهقت حطيت الأكل على الكُرسي وقومت فتحت الباب ووقفت بين التلاجات وزعقت فيهم

نادر: زعقت في مين؟

حمدي: الميتين!

-وقولتلهم جرى إيه هو أنا مش هعرف أخلّص اللُقمة و أتهنى بيها ولا إيه؟ سيبوني أطفح و بعدها ابقوا قوموا ارقصوا، وسمعت لك رزعة جاية من كُل أرفف التلاجات قطعت بسببها الخلف و قومت طالع وقافل الباب ورايا، لما طِلعت لقيت لفة الحواوشي مفتوحة ومتاكل الرغيفين وباقي منهُم لُقمة!

وإزازة الحاجة الساقعة مدلوقة على الكُرسي إللي بقعُد عليه، ولاد اللذينه طِمعوا في اللُقمة بتاعتي، ده أنا كُنت عامل ليلة علشان الرغيفين دول.

نادر: أنت عاوز تفهمني إن الميتيين كلوا الحواوشي؟

حمدي: لأ طبعًا، ده شُغل جِن ما هو الجِن أصله طِفس و مفجوع و مايحلالوش ياكل غير أكل البني أدمين..

ومن يومها لو أمي ندهت عليا من تُربتها وأنا باكل ولا هزُد، هخلص الأكل الأول وبعدها أقوم أشوفها عاوزة إيه!

نادر: أنا مُتشكر جدًا ياعم حمدي، عايز بس قبل ما أمشي أسألك على حاجة، دايمًا بشوفكوا بتعملوها وسمعتلها أكتر من تفسير، أنتوا ليه بتخبطوا على التلاجة قبل ما تدخلوا؟

حمدي: لأ إحنا مش بنخبّط على باب التلاجة بس إحنا كمان بنخبّط على كُل باب أو دُرج أو رف هنفتحه، هسألك سؤال لما حد بيجي يزورك هل بيدخل عليك البيت من غير احم أو دَستور؟

نادر: لأ طبعاً لازم يستأذن

حمدي: بالضبط كده ده إللي بنعمله، إحنا بنستأذن قبل ما نُدخل

نادر: ما أنا بردو مش فاهم ليه!

حمدي: خليني أحكيلك حكاية تانية، في مرة زميلي إللي بيستلم مني الوردية حصل عنده حالة وفاة، فاضطريت أشيل مكانه وأفضل هنا ثلاثة أيام متواصلين، على اليوم

التالت كُنت مش شايف قُدامي و كان المفروض كالعادة أدخل أتطمن على الجُثث و إن التلاجة شغالة وكله تمام، فاللي حصل إني من كُتر السهر والإجهاد وعدم النوم نسيت أخبّط على الباب و أنا بفتحه ودخلت، مالحقتش حتى أقفل الباب ورايا وأنا داخل الباب اترزع لوحده وسمعت خبط من برة على الباب شديد جدًا بمجرد ما سمعت الخبط أدركت إني نسيت أخبّط مابقيتش عارف أعمل إيه أو أتصرف إزاي، الكهربا اتقطعت والخبط على الباب سكت و سمعت صوت حد بيتنفس ورايا و حسيت بأنفاس باردة في وشي فضلت أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ولقيتني بقول لا إراديًا: أنا أسف سامحوني ماكُنتش أقصد أنا على طول بخبّط وبستأذن من يوم ما اشتغلت هنا، هي المرادي بس نسيت بسبب إني منمتش بقالي ثلاثة أيام، العفو والسماح أرجوكم.

بعدها مفيش دقيقة الكهربا رجعت والباب اتفتح لوحده و خرجت برة ومن يومها مستحيل أدخل المكان من غير استأذان وأخبّط.

تسألني ليه هقولك إن إللي قبلي جيت لقيتهم بيعملوا كده وهم جُم لقوا إللي قبلهم بيعملوا كده وأنا إللي هيستلم مني هقوله يعمل كده.

نادر: تمام ياعم حمدي وصلت

حمدي: مش عايز تعمل بلاغ من بلاغاتك دي مع دكتور تشريح؟

نادر(بعيون لامعة): والله فكرة بردو إيه المانع، بس ما تقوليش إن الدكتور إللي حكيت عليه من شوية علشان شكله جبان جدًا

حمدي: لا.. لا.. لا.. أنا هبعتك لدكتور بيتر، ده بقى عنده أحلى حكاوي تسمعها ده غير إن قلبه ميت وبينكُش عن الحاجات دي بإبرة

نادر: وألاقيه فين دكتور بيتر؟

حمدي: في بيته

نادر: ماينفعش أجيله هنا؟

حمدي: دكتور بيتر طِلع على المعاش من كذا شهر

نادر: وهيوافق يحكيلي؟

حمدي: عيب عليك

نادر: بركاتك يا ٢٠٠ جنية

حمدي (ضاحكًا): لا يا أستاذ في ٢٠٠ جنية تانية علشان دكتور بيتر

نادر (مُندهشًا): دكتور هياخُد ٢٠٠ جنية علشان يحكي؟!!!

حمدي: لأ طبعًا أنا إللي هاخدهم، دكتور بيتر يغرقك فلوس، قولي بس عايز تروحله إمتى؟

نادر: ينفع دلوقتي؟

حمدي: يا باشا إحنا دلوقتي عدينا نُص الليل

نادر: خلاص بكرة

حمدي: تعالى نخرج بره هجيب تليفوني من أوضتي، هاخد رقمك وبكرة هكلمك وأقولك عنوان دكتور بيتر..

خرجنا ووقفت عند البوابة من جوة، وهو دخل أوضة صغيرة بالقرب من البوابة وقفل بابها عليه، فضلت مستنيه حوالي نص ساعة، غاب عليا وأنا استغربت، فقولت ما بدهاش بقى، وروحت وخبطت على باب اللي الأوضة، ولما الباب اتفتح، ذُهِلت!!، عنيا برقت ورجعت خطوتين لورا، وكان نفس الذهول والإستغراب على ملامح الشخص اللي فتح لي الباب، وسألني:

- أنت مين؟!!..

نادر (مُندهشًا): إنت اللي مين؟، هو فين عم حمدي؟!.

الشخص: أنا عمار، وأنت إزاي دخلت هنا؟، هو أنا سيبت

البوابة مفتوحة؟، أنا متأكد إني قفلتها قبل ما أدخل أنام، وبعدين عم حمدي مات من مُدة..

نادر (بجنون): مات إيه؟، أنت شارب حاجة ولا لسه بتحلم، عم حمدي كان لسه معايا ودخل الأوضة قدامي..

عمار(بضحكة سمجة): يا بيه ده عادي، انت هنا في تلاجة أموات، يعني كلها عفاريت وأشباح، ويجوز كمان يكون هو اللي فتح لك الباب..

حسيت إني بتعامل مع شخص مُختل، ومن غير كلام أكتر من كده، خدت بعضي ومشيت، كان جوايا رهبة وإستغراب وخوف، لكن قدامهم كان فيه شغف، صوت جوايا بيقولي إن كل الغير منطقي وبيحصل لي ده، هيكون نتيجته تحقيق محصلش ولا هيحصل زيه أبدًا.

وأديني أنهيت المهمة التانية، إنطلقت في طريق عودتي للبيت علشان أكتب وأفرّغ كل إللي سجلته لأن المرادي سجلت كل إللي إتقال من أول دقيقة لأخر دقيقة، على أمل خيط جديد يظهر ويوصلني بدكتور بيتر، أو بالخطوة الجديدة عموماً...

الفصل الخامس
(كسّاب)

مارست مهامي المُعتادة من كتابة وتفريغ وعشا ودُش وتغيير هدوم وعلى الساعة أربعة الفجر كُنت في سابع نومة بعد يوم طويل وحافِل بأحداث كتير، صحاني من نومي صوت موبايلي وهو بيرن من بعيد جدًا حاربت النوم بكُل الطرُق علشان أصحى وأرُد على الموبايل، كان الإتصال من مروة بنت خالتي صفية.

الساعة كانت السابعة صباحًا والإتصال في حد ذاته غريب وغير متوقع، خصوصًا إن من بعد جواز مروة من كسّاب وكُل إللي حصل قبل كده والعلاقة بينّا مش أحسن حاجة برغم إني إعتذرتلها ودفعت تمن غلطتي، لكن مفيش حاجة رجعت زي زمان.

نادر: أيوة يا مروة صباح الخير

مروة: صباح الخير يا نادر، آسفة لو بتصل بيك في وقت غير مُناسب، بس أنا قولت تلاقيك في شُغلك دلوقتي

نادر: ولا يهمك أنا كدة كدة كُنت هصحى، خير في حاجة؟

مروة: أنا عارفة إن أنت ما بقاش ليك علاقة بكسّاب، لا من

قريب ولا من بعيد، بس للأسف هو لسه حاطك في دماغه، أنا حاولت كتير أقنعه ينساك لكن مفيش فايدة، عوزاك تسمعني ضروري لآخر لحظة يا نادر وما تستعجلش إنك تقفل معايا المُكالمة

نادر: أنا سامعك يا مروة كملّي

مروة: كسّاب ناوي يعيد القديم كُله

نادر: بمعنى؟!

مروة: سنوية الوقاد الأسبوع إللي جاي كسّاب حالف يموّتك يوم سنوية أبوه

نادر: مروة أنا مش فاهم أنتي عاوزة إيه دلوقتي؟

مروة: أنا خايفة عليك وبقولك تاني أهو، كسّاب مش هيسكُت

نادر: ماشي، أعمل إيه أنا دلوقتي مش فاهم؟

مروة: خاف يا نادر، ولو تقدر ما تُخرجش، ماتُخرجش ولو عاوز رأيي، تعالى إعتذرله يمكن يسامحك

نادر: خلصتي إللي عندك يا مروة؟

مروة: لأ ماخلصتش، واسمعني لآخر كلمة بقولها في

نادر: ياستي حاضر، كسّاب إللي باعتك تقولي الكلام ده؟

مروة: كسّاب إيه!! بقولك هيموتك، هيبعتني أقولك إنه هيموتك؟!

نادر: خلاص يا مروة أنا فهمت، سيبيني أفكر أشوف أنا هعمل إيه

مروة: نادر المشكلة مش فيك أنت لوحدك، أنا خايفة على خالتي وأمنية، أنا هقفل دلوقتي علشان سامعة صوته جاي

نادر: حاضر، مع السلامة يا مروة

- كُنت لسه هقفل أفتكرت جُملة مروة، قررت ماقفلش وأسمع للأخر و فضلت ساكت شوية و طِلع ظني في محله وسمعت حوار داير بين مروة وعدوّي اللدود كسّاب!

مروة (باكية): إرتحت؟ أديني قولتله إللي أنت عاوزه

كسّاب: لا ما ارتحتش، أنا مش هرتاح غير وهو راكع قُدامي

مروة: ما تشيله من دماغك بقى

كسّاب (صارخًا): أشيل مين؟ ده قتل أبويا، قتل سيدك الوقاد

مروة: وأنت قتلت أبوه

كسّاب: أنتي مجنونة، بتشبهي مين بمين؟

مروة: والله إللي أعرفه إن هو شالك من دماغه تمامًا، لكن أنت إللي مش قادر تنساه ولا تبطل تفكير فيه

كسّاب: إللي زي نادر ده العلاقة بيني وبينه بالضبط زي القُط والفار، هفضل كل مُدة أظهرله وأنغص عليه حياته وآخُد منه حبايبه واحد ورا التاني، وبعدها أسيبه فيفتكر إني نسيته أقوم طالعله زي عفريت العلبة تاني.

مروة: ممكن أفهم الهدف من مُكالمتي لنادر إيه؟

كسّاب: نادر اليومين دول عايش في وهم إنه ناجِح ومحتاج حد ينكد عليه ومكالمة زي دي تصبيرة بمسّي عليه بيها لحد ما أخبط الخبطة إللي جاية

مروة: أنا آسفة إني هقولك إن نادر ابن خالتي ناجح فعلًا وبإللي أنت بتعمله ده بتثبت لي إنك أضعف منه

كسّاب (غاضبًا): أنا أقدر أفعصه وأسخطه في لحظة، بس حابب أقولك حاجة سيدك الوقاد كان دايمًا بيقولهالي: إن الفرق بيني وبينه، إن أبويا كان دايمًا سريع الغضب لكن أنا شخصية استفزازية ومش من السهل جرّي لأي حاجة أنا

مش عاوز أعملها ‹على الأقل دلوقتي›، لكن أوعدك إني لما أقرر أدمر نادر هعدّي سقف توقعاته بكتير.

مروة: أنت ناوي تعمل فيه إيه؟

كسّاب: هتعرفي في وقتها

مروة: طب ممكن أعرف وقتها ده إمتى؟

كسّاب: قولتلك هتعرفي في وقتها، وبعدين تعالي هنا أنتي معايا ولا معاه؟

مروة: هو أنا نطقت ولا قولت حاجة؟

كسّاب: خليكي أفضل كده ما تنطقيش لأن إللي زيك لما بيفكر أو يتكلم الدنيا بتخرب، يلا اطلعي رتبي الناس إللي جاية علشان أعالجها، الناس قاعدة برة بقالها زمن

مروة: تحت أمرك، هاخد تليفوني وأخرُج، الخط اتقطع وأنهت مروة المُكالمة وإللي أثبتت لي.

أولًا: إن مهما حصل إحنا دم واحد

ثانيًا: إن الملعون كسّاب مش ناوي يسيبني في حالي أبدًا.

بس أنا مش هوّقف حياتي علشان مستني إللي هيعمله، لما يبقى يقرر إنه يعمل حاجة يبقى يحلها ألف حلال.

الفصل السادس
(طبيب تشريح)

فطرت و قعدت أكمّل شُغلي في إنتظار رؤية ولا أي هاتف يبلغني بالخطوة الجاية، حاولت أشيل من بالي خطط كساب للإنتقام مني، إلا إن صوته فضل يتردد جوايا، وبدأت أسأل نفسي:

هل كسّاب يكون له يد في إللي بيحصل معايا؟!، لكني تراجعت عن الفكرة، ده كلها أموات في أموات، أنا لازم أركن التفكير في كسّاب على جنب دلوقتي، وبعدين هيبقاله روقة لوحده، لازم دلوقتي أركز أكتر في الموضوع بتاع الأموات ده، إللي هيفتحلي باب جديد

وتحقيق جديد أضمه لسلسة التحقيقات الأخيرة إللي مبدئيًا أطلقت عليها (أعوان الموت)، بس ده عنوان مبدئي وارد جدًا إني أغيره.

حاجة قالتلي قلّب في رسايل الموبايل، عملت كده فعلاً لقيت أول رسالة كالتالي:

أستاذ نادر أنا حمدي عامل تلاجة الموتى، بحاول أكلمك بقالي أكتر من ساعة وأنت مشغول، ده عنوان دكتور بيتر هو مُنتظرك النهاردة الضُهر ولو فاضي دلوقتي روحله.

حمدي!!! أنا كنت بقرأ وأنا مش مصدق عينيا، بس سريعًا فوقت لنفسي، وقولت أنا لازم أكمل طريقي، لازم أعرف، هل فعلاً دول أموات، ولا أنا اتجننت ولا إيه؟!..



مفيش رُبع ساعة وكُنت وصلت العنوان خصوصًا إنه في وسط البلد جنبي، عمارة قديمة مكونة من سِت أدوار، الدور عبارة عن شقة وهو ساكن في الدور الرابع، خبطت فتحلي

واحد في أوائل الستينات يتمتع بجسم إلى حد ما رياضي مرسوم على وشه ابتسامة ترحاب وقالي: أستاذ ناجي صح؟



نادر: لأ يا فندم نادر، نادر فودة

دكتور بيتر: أنا أسف بس حمدي إللي قالي كده

نادر: يعني حمدي ده مش ميت زي ما عمار قالي؟

دكتور بيتر: هو حضرتك بتقول إيه؟، وعمار مين؟

نادر (بإحراج): لا، لا، ولا حاجة، متاخدتش في بالك.

دخلنا بيت دكتور بيتر وطلب مني أستناه دقايق، وبعدها رجع معاه كوبايتين حاجة ساقعة

دكتور بيتر: على حسب ما فهمت من حمدي أنت عاوز تسمع مني أكتر مواقف مُرعبة حصلت لي في أثناء عملي كطبيب.

نادر: أكون شاكر ليك جدًا يا دكتور

دكتور بيتر: على حسب بردو ما فهمت إنك صحفي

نادر: تمام كده

دكتور بيتر: بُص أنا هحكيلك موقف بعتبره من المواقف إللي ملهاش تفسير لحد دلوقتي، الكلام ده من مُدة طويلة، استلمت جُثة وكان مشكوك في سبب وفاتها فطبيعي كان لازم تتشرح.

لأول مرة في حياتي أحس إن في جُثة رافضة إنها تتشرح، رافضة بكُل الطرق

نادر: إزاي؟

دكتور بيتر: مبدئيًا الجُثة كانت موجودة على ترابيزة التشريح وكل ما أتلفّت علشان أعمل حاجة أحس إن الجُثة بيتغير فيها حاجة، يعني مرة ألاقي دراع الجُثة اليمين نازل من على الترابيزة فرجعته مكانه، إتلفّت أعمل حاجة تانية وعلى ما رجعت لقيت رجلين الجُثة مفتوحين وبعيد عن بعض تمامًا ضميتهم لبعض بصعوبة.

أنا ماكُنتش لاحق أجيب أي مشرط علشان أبدأ تشريح حرفياً كل ما أتلفّت لازم يحصل حاجة، والختام لقيت الجُثة بتسوّد كُلها و كأن حد دلق عليها قطران أسود، أنا كُنت شايفها بتسوّد تدريجيًا بداية من الرجلين صعودًا لباقي الجسم، وقفت قُدامها محتار مش عارف أعمل إيه، ناديت على حد من الموجودين برة وسألته أنت شايف إيه؟ فكان رده إنه شايف جُثة عادية جدًا، واكتشفت إن أنا الوحيد إللي شايف المنظر المُرعب ده، عاوز أقولك إن الموضوع موقفش عند كده، بدأ خيط دم يُخرج من عينين الجُثة المقفولة وينزل على ترابيزة التشريح ومنها للأرض، اضطريت أدخّل الجُثة تاني التلاجة لأني حسيت إن أعصابي هتنهار من المشهد ده، وفعلًا تاني يوم شرحتها عادي جدًا وما حصلش حاجة.



- في مرة حصل حاجة عمري بردو ما بنساها، كُنت هشرّح جُثة شاب مات بطلقة طايشة في فرح يا عيني، وأنا موضوع ضرب النار في الأفراح ده بيعصبني جدًا.

حطيت الجُثة على ترابيزة التشريح وجبت المشرط أقوم أسمعلك صوت واحدة بتقولي: بالراحة على ياسين!

أنا تنحت وبصيت حواليا مفيش حد!

مسكت المشرط ودخلته في الجُثة أقوم سامعلك صوت واحدة بتعيط وبتقول:

بالراحة أرجوك ياسين بيخاف أوي من العمليات!

قولت يارب استرا!

وكملت تشريح و كانت ليلة سودا

كل ما أعمل حاجة أسمعلك عياط وصويت!

نادر: وكملت عادي؟

دكتور بيتر: أه لأن ده شُغلي والحالات دي حصلت كتير ومش كل ما هسمع حاجة هسيب شُغلي وأخرُج.

ده أنت فكرتني في مرة وأنا في الكلية في معمل التشريح،كانت جُثة متغطية وهنشرحها أنا وزمايلي ولسه بنقرب قامت الجُثة متحركة والميت قام قعد والملاية مغطياه!

كل البنات التلاتة وقعوا من طولهم وإتنين دكاترة زمايلي طلعوا يجروا ووقعوا كل حاجة في طريقهم..

دكتور المادة اترمى على أقرب كُرسي، أنا فضلت فاتح بوقي وساكت!

الجُثة بدأت تتنفض وتشيل الملاية من عليها بطء شديد لحد ما وقعت من عليها، إذ بينا نلاقي دكتور ماجد زميلنا عامل فينا مقلب، ماقولكش على الضرب إللي كله يومها من الكل.

وقالنا: المقلب ده حاجة كده زي منهج الكلية كل سنة لازم الدكاترة يعملوه في بعض!

سيبك من الموقف إللي فات وهحكيلك على حاجة معنديش تفسير ليها.

بطبيعة الحال ببعت لمعمل الطب الشرعي عيّنات علشان يطلع التقرير النهائي بتاعه، شرحت جُثة واحدة سِت في الخمسينات من عُمرها وبعّت بالفعل العيّنات ولقيت دكتور أحمد من المعمل بيكلمني وبيقولي:

دكتور بيتر هو إيه العيّنات إللي حضرتك باعتهالي دي؟!

دكتور بيتر: عيّنات إيه؟ إيه الجديد ما زي كُل مرة.

دكتور أحمد: لأ مش زي كُل مرة، حضرتك مُتأكد إنك إللي ساحب العيّنات دي؟

دكتور بيتر: أيوة طبعًا يا دكتور أحمد، هو في إيه؟

دكتور أحمد: العيّنات والأنسجة دي لكائِن عمري ما شوفته

قبل كده، في حاجة يا دكتور بيتر غريبة في الموضوع ثلاثة أجهزة ميكروسكوب اتحرقوا، و جهازين فضلت نتايجهُم كُلهم بايظة والأغرب من كده إني كل ما أبص على عيّنة وأركز معاها علشان أعرف دي إيه، يجيلي صُداع رهيب و يروح بمجرد ما أشيل عيني من على العيّنات وأخرها من شوية سمعت خبط شديد جدًا جاي من برة المعمل، طلعت بسُرعة أشوف في إيه مالقيتش في حاجة، أنا هبعت لحضرتك تقرير وقفّل بيه الموضوع ده خلّي الجُثة دي تمشي من عندك أنا مش مرتاح، الموضوع كلُه غريب، سلام.



نادر: ممكن توصلني بدكتور أحمد أسمع منه تفاصيل أكتر؟

دكتور بيتر: الحقيقة كُنت أتمنى لكن للأسف دكتور أحمد اتوفى بعد المكالمة دي بيومين في ظروف غامضة جدًا، تقدر تقول شاب صحته كويسة جدًا ماعندهوش أي أمراض يموت فجأة بعد تحليله لعينة مُريبة، أنا نفسي شكيت و طلبت إن دكتور أحمد جُثته تتشرح لكن للأسف مانفعش

نادر: مانفعش ليه؟

دكتور بيتر: اتقال كلام كتير، اتقال إن أهله جُم وأخدوا الجُثة ورفضوا إن حد يقرب منها، واتقال إن الجُثة أصلًا اختفت بعد الوفاة بساعتين، واتقال إن دكتور أحمد فقد بصره بسبب انفجار عدسة ميكروسكوب في وشه وإنه انتحر بعدها، الشاهد إن حصل تكتّم شديد على الموضوع وللأمانة ما حاولتش أدوّر علشان مايكونش مصيري نفس مصيره، أنا بدعي دايمًا ربنا يرحمه ويعزي أهله، صدقني أنا من وقتها كُنت جديًا بفكر إني أستقيل

نادر: خير، كان نفسي أكمّل التحقيق مع طبيب تاني

دكتور بيتر: تحب أبعتك لدكتور رعاية؟

نادر: وده هيفيد في التحقيق بتاعي؟

دكتور بيتر: طبعًا، دكاترة الرعاية بيشهدوا اللحظات الأخيرة للمريض قبل وفاته وصدقني اللحظات دي فيها كلام كتير جدًا يتقال.

نادر: موافق جدًا، تبعتني لمين؟

دكتور بيتر: سامح ابن أختي هيحكيلك ومش هيخبي، هيكون متطمن علشان أنا إللي باعتك له

نادر: طيب هتكلمه؟

دكتور بيتر: حالًا هكلمه

طلّع دكتور بيتر موبايله وأجرى المكالمة التالية:

- ألو..

- أيوة يا سامح يا حبيبي

- وأنت كمان، ماما عاملة إيه؟

- نُشكر ربنا يا حبيبي

- ده أنتوا تنوروا

- بقولك إيه يا سامح، في واحد صديق ليا اسمه أستاذ نادر شغال صحفي و بيعمل تحقيق في الجورنال عنده عن أغرب حالات الوفيات، سجل معايا وكان بيستأذني أوصله لحد في الرعاية وأنا مالقيتش أحسن منك يا حبيبي، عندك مانع إني أبعتهولك؟

- لا يا حبيبي مش هنذكر أسماء مرضى ولا حاجة

- لأ دي اه براحتك يكتب اسمك أو مايكتبوش دي براحتك

- لأ إنسان كويس جدًا

- ماتقلقش لو رفدوك خالك هيتصرف

- عيب يا واد إحنا بيفرق معانا معاش من غيره

- قولي أنت فين النهاردة

- تمام.. تمام.. ده العشم يا حبيبي

- خلاص هقوله، تعيش يا حبيبي

- أشوفك على خير، سلامي لماما

- مع ألف سلامة

أنهى دكتور بيتر المكالمة وقالي: تمام

دكتور سامح موافق، هكتبلك العنوان أهو بتاع البيت علشان هو أجازة النهاردة ورقم تليفونه احتياطي

نادر: أقدر أروحله على الساعة كام كده؟

دكتور بيتر: حالًا، اطلع من عندي روحله، هو ساكن في ١٥ مايو يادوب تتحرك دلوقتي

- شكرت دكتور بيتر، وفعلًا نطيت في أول تاكسي قابلني.

رايح أكمل التحقيق مع عُنصر مُساعد جديد من (أعوان الموت).

الفصل السابع
(أحمد يونس)

أول ما اتحركت بالعربية لقيت السواق بيقول المشوار ده هيبقى طويل ما ينفعش فيه أغاني، الوحيد إللي ينفع في الطريق ده هو أحمد يونس، ولقيته شغل حاجة زي فيلم إذاعي لمُذيع شاب قايم بدور الراوي، خطفني الحقيقة لأسلوب سرده السلس وصوته إللي بيقدر يلوّنه مع الأحداث وبرغم إنه قايم بدور الراوي وبدور كُل الأبطال لكنه قادر يفرّق بينهم كويس لدرجة خليتني أصدق إن في خمس شخصيات بيتكلموا مع بعض، طلّعت جهاز التسجيل بتاعي وبدأت أسجل إللي بسمعه كان بيقول:

إتفزعت على صوت الباب بيخبط، خدت نفسي وأنا قلبي هيقف وعمال ينبض بسرعة من الخوف، روحت للباب عشان أفتح وأشوف مين، ولما فتحت مالقيتش حدا!! مالقيتش شخص، لقيت القطة قاعدة على الأرض وجنبها جواب!!!!!

رجعت خطوتين لورا وأنا رجليا مش شايلاني وحاسس إني بحلم، فجأة القطة بصت لي بصة غريبة ومشيت!! لقيت نفسي اتحركت وجريت على باب الشقة، بصيت على القطة، إللي لقيتها اختفت تمامًا!! وقفت للحظات و أنا مسيطر عليا

حالة من عدم الاستيعاب، وبعدها ماكنش قدامي غير إني أخد الجواب إللي على الأرض، كان جوايا فضول رهيب بيحركني ومش قادر أقاومه، فمديت إيدي وأخدت الجواب، إللي لقيت مكتوب عليه إسمي الثلاثي (مصطفى سلامة البرديسي) وعنواني!، عنيا رجعت تدمع تاني من الخوف، قفلت الباب وقعدت على الكُرسي و فتحت الجواب وبدأت أقرأ الآتي:

توقعت منك ردة فعل أحسن من المرة إللي فاتت يا مصطفى عشان ما كانتش غلطتي من الأساس، أنا حاولت أبعد لكن مفيش فايدة لا أنت هتقدر تستغني عني ولا أنا هقدر أستغني عنك، مصطفى من فضلك بلاش تجاهل، بلاش تجاهل أكتر من كده...

جسمي كان بيتنفض، إيدي من الخوف عرقت جامد لدرجة إن الورقة إتبلت، سامع صوت همس جاي من كل رُكن في الشقة بإسمي، كان صوت بنت عمالة تقول:

مصطفى، بلاش تجاهل، أنا هنا..

الخوف سيطر عليا، خدت موبايلي وجريت بره الشقة ونزلت الشارع، اتصلت بمحمد وأنا بنهج ومش قادر أخد نفسي من الرعب وأول ما رد عليا قولتله بغضب:

تعالالي دلوقتي بسرعة، سيب أي حاجة وأي حد وتعالالي حالًا، قفلت معاه السكة من غير ما استنى منه أي رد، وبعد عشر دقايق لقيته جاي بيجري عليا واتفاجئ أول ما شافني قاعد على الرصيف قدام باب العمارة وسألني:

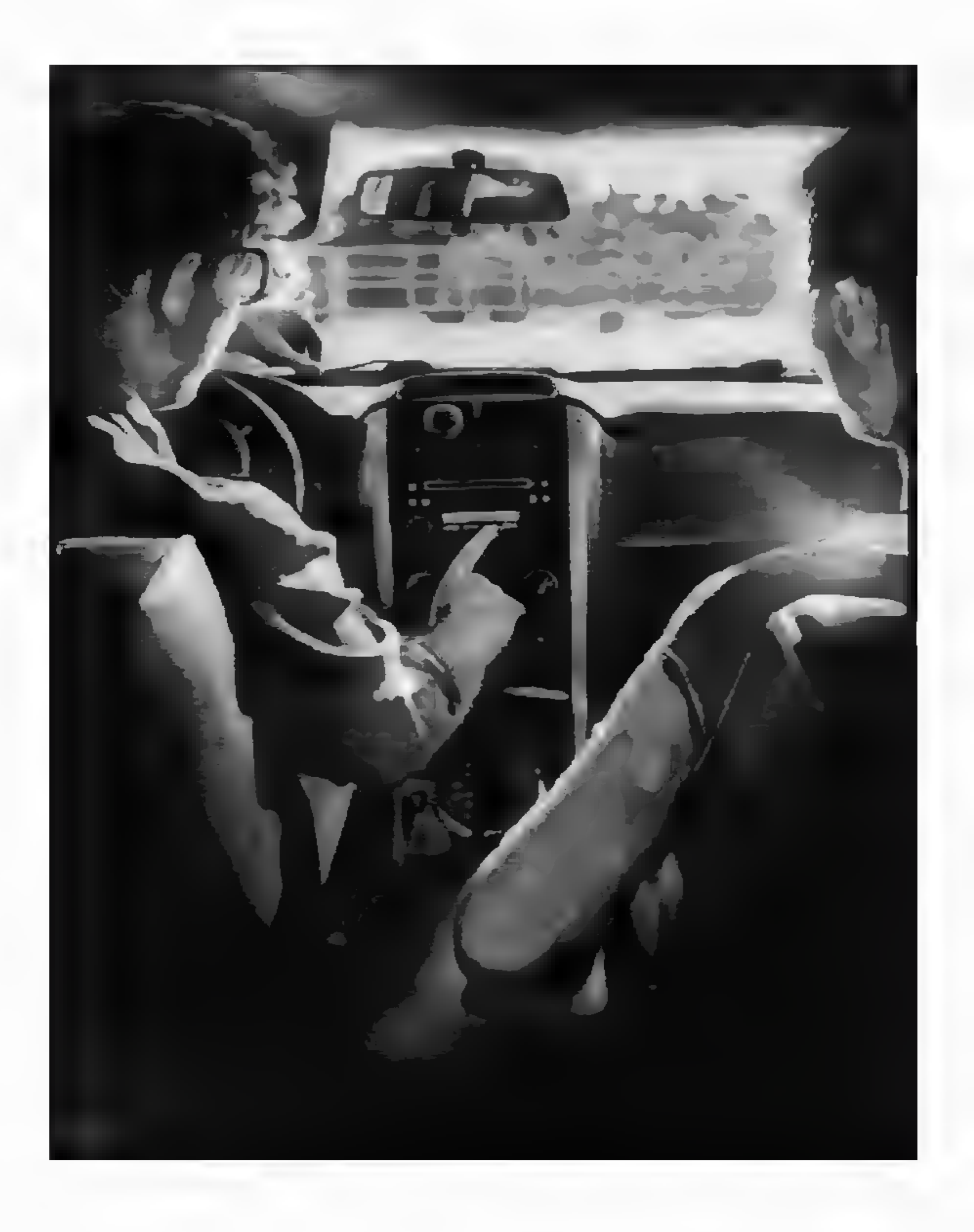
أنت قاعد كده ليه يابني؟ مالك في إيه؟!

جمعت شتات نفسي وحكيتله إللي حصل، وأخدته وطلعنا الشقة وخليته يقرأ الجواب بنفسه، ملامحه اتبدلت واحتلها الخوف و الذُعر، كان عمّال يبُصلي وهو مبرق ويرجع يقرأ إللي مكتوب في الجواب تاني، وبعد ما خلص جبتله الورقة إللي أنا كُنت بدأت أكتب فيها الجواب، ووريته الإسم إللي عليها، كان فكره شارد وإيده بتترعش، سِكت شوية وقالي:

أكيد الشقة دي مسكونة، أو القطة إللي أنت جبتها دي فيها ولا ساكنها جن أو عفريت، إحنا لازم نسيب الشقة دي بسرعة، الشقة دي مسكونة ومتعفرتة..

برغم الرعب إللي كان ساكن جوايا إلا إني ماكُنتش شايف إن ده حل، في إحساس بالفضول لمعرفة إيه إللي بيحصل تحديدًا بيحارب إحساس الخوف جوايا، بيدفعني استنى وأعرف السر ورا الجواب ده، و مين هي ناني دي؟!

جاوبت على محمد و قولتله:



- قطع تركيزي مع القصة صوت السواق:

السائق: دي قصة ناني يا أستاذ ده أنا سمعتها يجي 12 مرة

نادر: هو أنا بس عندي سؤال الساعة دلوقتي حوالي واحدة الضُهر، راديو إيه إللي بيشغل رُعب الضُهر ده؟

السائق: لأ أصل محسوبك ذكي، بسجل القصة بالليل

وأفضل أشغل فيها وأسمعها علشان لو فاتني منها حاجة أقدر أفهمها.

نادر: اسم المُذيع ده مش غريب عليا، حد قالي عنه حاجة أو سمعت منه حاجة بس مش فاكر، حتى صوته حاسس إني سمعته قبل كده

السائق: جرّب تسمعه مرة وهتدمنه، البرنامج بتاعه بيجي بالليل على ال Fm

اسمه ع القهوة والرُعب يوم واحد في الأسبوع.

نادر: طب وباقي الأيام؟

السائق: حاجات تانية، مرة أخبار، مرة أغاني قديمة، مرة مُسابقات، بس الصراحة أنا أكتر حاجة بتظبط لي دماغي هو الرُعب، مش أنا لوحدي على فكرة كُل السواقين زمايلي على كدة

نادر: خلاص أوعدك هبدأ أسمعه

السائق: ماتعرفناش بالكريم؟

نادر: نادر فودة

السائق: وأنا أخوك عبدالرحمن، لو عندك مشوار ثابت في نفس الميعاد كل يوم ممكن أوديك

نادر: لأ والله أنا شُغلي جنب البيت، ممكن تشغّل بقى باقي الحكاية عايز أسمعها

السائق: لأ سيبك من دي، دي مش حلوة، أنا عندي قصص تانية أحسن منها مليون مرة

نادرو: مش حلوة و سمعتها ١٢ مرة!!

السائق (ضاحكًا): عندك حق هي حلوة، بس أنا يعني عايز أسمّعك حاجات كتير يعني خُد عندك قصة طب ما تقوله

نادر: أقوله إيه؟

السائق (ضاحكًا): لأ هي اسمها كده

نادر: لأ أنا هكمل القصة بتاعت نانى أحسن

السائق: طب ما تسيبك منه وأسمّعك السِت دي أحسن من أي حد بقى، و لا أقولك تسمع حليم؟

أنا عندي شريط كوكتيل اشتريته من إسكندرية الصيف إللي فات الأغاني لازقة في بعض، الأغنية تكون لسه هتخلص تقوم داخلة أغنية تانية بشياكة، ما تلاقيش الحاجات دي عند أي حد يا أستاذ نادر، بقولك إيه؟

نادر (ضاحكًا): قول

السائق: سمعت أغنية على إللي جرى بتاعت أصالة وصابر الرباعي؟

نادر (بصوت عالي): مالها؟

السائق: سيبك من الأغنية دي، بيقولك أصالة لما طلعت تغني كانت الأغنية متظبطة على صوت صابر وقامت أصالة لما طلعت تغني أنت عارف طبعًا إن أصالة صوتها عالي وبقى صابر يغني في حتة وأصالة تغني في حتة تانية والأغنية طلعت وحشة أوي، بس علشان أنا بحب أصالة وصابر الرباعي لازم أسمعها كل يوم.

نادر (ضاحكًا): طبعًا لازم علشان ما ياخدوش على خاطرهُم، أنت بتجيب المعلومات دي منين بقى ياسطى عبدالرحمن؟

السائق: من قناة مولدي

نادر: وقناة مولدي بقى قالتلك إيه تاني؟

السائق: بيقولك إن نوال الزوغبي ووائل كافوري كان المفروض هيتجوزوا بعد أغنية مين حبيبي أنا، بس ماحصلش نصيب

نادر (انهار ضاحكًا): تلاقيهم اختلفوا على القايمة

السائق: إيه ده؟ هي تونس فيها قايمة زيّنا؟

نادر: هما لبنانيين على فكرة

السائق: اسكت ما تفكرنيش بموضوع القايمة ده، أنا لما جيت أطلق بنت الناس الكويسيين قلعتني هدومي وبيّعتني الجلد والسقط منها لله خلتني أمشي أكلم نفسي في الشارع

نادر: معلش همَ الستات كُلهم كده، ادعي عليهم وأنت بتصلي

السائق: لا ماقدرش أصل إحنا رجعنا لبعض

نادر: هي ١٥ مايو قرّبت؟

السائق: يادوب إحنا في ١٣ مايو

نادر: لأ كده كتير أوي بقى

السائق: شكلك زهقت

نادر: مازهقتش ولا حاجة

السائق: أنت تعرف إن أحمد يونس ده...

نادر: أحمد يونس مين؟

السائق: ياعم بتاع الرُعب إللي كُنت لسه بتسمعه من شوية

نادر: ماله؟

السائق: وحيد أمه وأبوه

نادر: ربنا يخليه ليهم

السائق: بس ليه أربع إخوات

نادر: ألف مبروك

السائق: هفهمّك، بيقولك أبوه خلّف أربع عيال وقعد عشرين سنة ما بيخلفش وبعدها خلّف

نادر: وده عرفته بردو من قناة مولدي؟

السائق: لأ، من زكريا

نادر: زكريا مين؟

السائق: زميلي طبعًا هيكون مين يعني

نادر: و زكريا عرف منين؟

السائق: ابن عم زكريا شغّال في مبنى الإذاعة والتلفزيون وأنت فاهم بقى مفيش حاجة بتستخبى يا أستاذ نادر، ده بيقولك إنه أصلًا سعودي، تعرف أنا عرفت ده إزاي بقى؟

نادر: إزاي ياعم عبدو؟

السائق: أصله بياخُد أجازات كتير وبيطلع يعمل عُمرة أو ممكن مايكونش سعودي ولا حاجة ويكون غني ما أنت عارف بقى بتوع التلفزيون والممثلين على قلبهم فلوس قد كده، هو أنت بتشتغل إيه؟

نادر: على قلبي فلوس قد كده، صحفي فضلة خيرك

السائق: أيوة ياعم ما أنتوا واكلينها والعة، بالله عليك لما تقابل أحمد يونس قوله إن كُل التكاسي بتسمعك وعايزينك تزوّد الرُعب تخليه يومين مش يوم واحد و تقوله إن عبدالرحمن متابعك هو ومراته وعياله وعايزة يعملي إهداء بأغنية التلميذ و الأستاذ للفنان رمضان البرنس و يهديها للواطي زكريا.

نادر: عم عبدالرحمن أنا تعبت ممكن تكمّل القصة؟

السائق: لأ مش هينفع أصل إحنا وصلنا، شايف المدخل إللي كله شجر ده؟ ده مدخل ١٥ مايو، أنت نازل أي مجاورة بقى؟



نادر: مجاورة ٧

السائق: مُتأكد؟

نادر: والمصحف أه

السائق: أصل ممكن يكون سمعت غلط وتكون نازل أطلس ولا أي مُجاورة تانية، على العموم خلّص مشوارك وأنا قاعد مستنيك

نادر: للأسف أنا هبات هنا ياعم عبدالرحمن

السائق: هتبات عند حد أول مرة تزوره؟ ما يصحش كده الناس يقولوا عليك إيه؟ كُل بيت له حُرمة يابني

نادر: اركن على جنب ياعم عبدالرحمن، أنا هنزل هنا، الحساب كام؟

السائق: إللي تدفعه ولو مش عاوز تدفع خالص ولا يهمك، ده أنت أول واحد تسيبني أحكي إللي عندي كُله من غير ما يقاطعني.

نادر: معلش الحساب كام ياعم عبدالرحمن؟

السائق: في العادي هاخد ٢٠ جنية إنما منك ١٠ جنية كفاية أوي.

نزلت من العربية وعندي كمية صُداع ممزوجة بإبتسامة عريضة من رغي عم عبد الرحمن الراجل الطيب المصري أبو دم خفيف إللي قدر يخرجني من التوتر وشدة الأعصاب إللي كُنت فيها.

وبسؤال شخص والتاني عِرفت عنوان دكتور سامح وتوجهت له.

الفصل الثامن
(غُرفة الرعاية)

تليفوني رن..

نادر: ألو

المتصل: أستاذ نادر معايا؟

نادر: أيوة يافندم مين حضرتك؟

المتصل: أنا دكتور سامح إللي حضرتك جايلي

نادر: أنا تحت العمارة

دكتور سامح: هستأذنك في أخر الشارع هتلاقي كوفي شوب اسمه بلاك تايجر، بستأذنك تستناني هناك وأنا هلبس وأجي لحضرتك

نادر: حاضر هستناك هناك



توجهت للكوفي شوب، قعدت وطلبت عصير البُرتقال رفيقي في ليالي الصيف الحارة وليالي الشتاء الباردة، فتحت شنطتي وبدأت أرتب ورقي لحد ما دكتور سامح يوصل، بعد أقل من عشر دقايق دخل شاب في أوائل الثلاثينات من عمره لابس نضارة طبية وسألني حضرتك أستاذ نادر؟

فجاوبته أيوة، شد الكُرسي و قعد وبدأنا حوارنا...

دكتور سامح: أنا بعتذر ليك إني ماقدرتش أطلعّك البيت

عندي، المدام لسه مخلفة وماكُنّاش هنعرف نقول كلمتين بسبب صوت ريمون ابني

نادر: حمد لله على سلامتها وربنا يخلي

دكتور سامح: أستأذنك قبل أي حاجة إني هسجل زي ما سجلت الحوار مع دكتور بيتر

دكتور سامح: بس إللي أنا فهمته إن الحوار هينزل في الجورنال مش هيتسجل

نادر: التسجيل ده علشان أختصر الوقت بدل ما أقعد أكتب وراك كل كلمة وأعطلك يعني تقدر تقول إنه مجرد مرجع ليا

دكتور سامح: تمام فهمت، ممكن أعرف اسم الجورنال إيه علشان أبقى أشتري العدد

نادر: الجورنال اسمه عُمق الحدث، الباب إللي بكتب فيه اسمه ما وراء الطبيعة ولو تسمحلي أنا هبعت لحضرتك كذا عدد هدية وقت نزول التقرير

دكتور سامح: مُتشكر جدًا يا أستاذ نادر، قولي تحب أبدأ منين؟

نادر: أنا هنا مُستمع، حضرتك ابدأ من مكان ما تحب وأنا لو عندي سؤال هسأله

دكتور سامح: أنت بتصعّب عليا كده الموضوع، بس خليني أفتكر إيه أحسن حاجة أبدأ معاك بيها

نادر: للدرجادي همَ كتير؟

دكتور سامح: غُرفة الرعاية من أكتر الأماكن إللي بيحصل فيها عجايب وبنقف قدامها مش لاقيين تفسير.



نادر: غالبًا حضرتك فهمت غلط، أنا مش عاوز كلام طبي

دكتور سامح (مُقاطعًا): لأ أنا فاهم، أنت عاوز حاجات غريبة ومُخيفة صح كدة؟

نادر: الله ينور عليك

دكتور سامح: هتصدقني لو قولتلك إن المرضى في الغيبوبة بيكلموا بعض؟

نادر: يعني إيه؟

دكتور سامح: كذا مرة نسمع مريض في غيبوبة بيتكلم كلام واضح ومفهوم جدًا ودي ما بتكونش الصدمة، الصدمة لما تلاقي مريض تاني في غيبوبة بردو يرُد عليه وبيتكلم في نفس الموضوع، يعني مثلًا الشهر إللي فات كان في عندنا مريض في غيبوبة كبدية اسمه الحاج مُحسن خليني أقولك إن مريض الغيبوبة الكبدية ممكن يزعق ويشتم بدون وعي.

الحاج مُحسن كان إللي على لسانه ماتقلعونيش هدومي يا ولاد الكلب، وكل ما يفوق لثواني بسيطة أدخل أقوله محدش قلّعك هدومك وإحنا مغطيينك كمان أهو، بعدها يدخُل في الغيبوبة تاني ويرجع يقول نفس الجُملة ‹ ماتقلعونيش هدومي يا ولاد الكلب ›.

معرفش إللي هقولهولك ده كوميدي ولا مُرعب، مريضة تانية في غيبوبة تامة كان اسمها سِت سامية زعقِت وهي في الغيبوبة وقالت يا دكتور رفيق رجعوا للراجل هدومه بدل ما ربنا ينتقم منكوا.

حابب بس أعرفك إن السِت سامية دخلت عندنا و هي عندها غيبوبة أصلاً و ما فاقتش ولو لدقيقة واحدة و قبل ما تسألني أيوة رئيس قسم الرعاية اسمه دكتور رفيق، أنا اتجننت لما سمعتها ونزلت للاستقبال و قولتلهم اقلبوا لي الدنيا بإسم سامية عبدالرازق وهدان دخلت هنا قبل كده و لا لأ، قولت يمكن تكون جت قبل كده واسم الدكتور رفيق متخزن في الذاكرة عندها ولكن دي كانت أول مرة تُدخل عندنا المستشفى، أنا ماقدرتش أسكت لما ابنها جه يزورها حكيتله إللي حصل فقالي:

أنا مش مستغرب إللي حضرتك بتقوله، كل مرة ماما بيجيلها غيبوبة لازم تتكلم عن ناس ماتعرفهمش وتحكي عن حاجات هتحصل وبالفعل بتحصل، ركز معاها لأنها هتتكلم تاني.

عدى يوم وإتنين و رجع عم مُحسن يشتم تاني، لقيتلك المريضة سامية بترُد بصوت عالي: أنت عارف يا رفيق لو ما رجعتلوش هدومه ابنك هيسقط في الثانوية السنة دي.

عارف دكتور رفيق عمل إيه؟

بعت لأبن عم مُحسن جابله طقم من البيت وحطهوله جنبه على السرير، عم مُحسن مات بعدها بساعة.

أما السِت سامية فضلت تنادي على عم مُحسن وتقوله:

مش اتفقنا هنمشي سوا، مش قولتلك تعرّفني وأنت ماشي، أنا هحصلك بُكرة مع أذان الفجر.

عاوز أقولك إن حرفيًا مع أذان الفجر كُل أجهزة السِت سامية توقفت عن العمل وكأنها وعدت ونفذت.

دي أول حكاية تحب تسمع تاني؟

نادر: ياريت

دكتور سامح: موقف كوميدي و غريب عمري ما بنساه، الحاج ناصر كان محجوز عندنا في الرعاية كان كل شوية ينادي يقول: هاتولي سيجارة علشان هموت، طبعًا إحنا دورنا نطبطب و ندلع و نعامل المريض زي الطفل و خصوصاً لو كان كبير في السن، خلاني قاعد معاه وقالي: هاتلي ياد أنت سيجارة

قولتله: ممنوع تدخن سجاير هنا

قالي: هات من العلبة إللي أبوك مخبيها في رف الحمام.

- أنا كأني إتكهربت، لأن بابا فعلًا مخبي علبة سجاير في الحمام وماحدش يعرف غيري لأن لو ماما عرفت مش هيحصل طيب

الحاج ناصر: مالك مستغرب كده ليه؟ تحب أقولك أنت كُنت بتهبب إيه الأسبوع إللي فات؟

دكتور سامح: لأ شكرًا

الحاج ناصر: قوم اجري يلا هاتلي سيجارة قبل ما أموت

- قولتله حاضر وطلعت وقفت مع زمايلي ندردش شوية، سمعت صوت الحاج ناصر بينادي بصوت عالي أوي، روحتله بسرعة لقيته واقف على السرير وبيشاورلي

وقالي: مش قولتلك هاتلي سيجارة يا زفت قبل ما أموت؟

بعدها وقع مات، أيوة مات يا أستاذ نادر، الراجل كان زي الفل و كان المفروض هيتنقل لغُرفة عادية خلال ساعة أو ساعتين بالكتير لكنه مات!



تسألني مات إزاي، تسألني كان عارف إزاي إنه هيموت، كل دي حاجات بينه وبين ربنا، إللي أقدر أقوله أنا كطبيب إنه جاله سكتة قلبية.

خليني أختملك بقصة ماما هُدى، ماما هُدى دخلت عندنا في غيبوبة تامة و من أول ما دخلت وكان واضح جدًا إن الحالة مُنتهية وإنها مسألة وقت، ولادها كانوا بييجوا كُل يوم وعاوزين يسمعوا أي كلمة تديهم أمل، للأسف إحنا

بيبقى موقفنا صعب جدًا في المواقف دي لأننا مش هينفع ندّي أمل زائف، فدايمًا بيكون ردّنا إن إحنا بنعمل إللي علينا ومفيش حاجة بعيدة على ربنا وبنحكيلهم عن حالات كان مفقود فيها الأمل تمامًا وفاقت فجأة.

إبنها الكبير كُنت شارحله الوضع بمُنتهى الوضوح علشان هو سألني وقالي لازم نرتب نفسنا، رئيس القسم عندنا كان مُتعاطف جداً معاهم و كان بيقف يكلمهم كتير وقال لإبنها الكبير: بالوضع إللي قدامي الحالة قدامها أقل من ٢٤ ساعة و تحصل الوفاة.

بس إللي حصل يا أستاذ نادر إن الحالة كملت ثلاثة أيام و ماحصلش وفاة، رئيس القسم قال لإبنها الكبير سؤال خلى جسمي كُله يقشعر..

رئيس القسم: هو في حد ماما بتحبه مسافر؟

الإبن: أه أخويا الصغير

رئيس القسم: فين؟

الإبن: دبي

رئيس القسم: ومُنتظَر يجي قريب؟

الإبن: طيارته هتوصل القاهرة بكرة الساعة تسعة الصبح،

هو في حاجة؟

رئيس القسم: إللي هقولهولك ده ماينفعش دكتور في مكانتي يقوله لكن دي حقيقة لمستها وشوفتها بعنيا طول تلاتين سنة شُغل.

الإبن: إللي هي إيه؟

رئيس القسم: الأم بتفضل مستنية أقرب حد ليها من ولادها لو المفروض إنه جاي يشوفها وبعدها بتسلّم الأمانة وتتوفى

الإبن: معقول؟!

رئيس القسم: أنا بحكيلك بناءً عن سنين طويلة مريت بالموقف ده كتير جدًا.

دكتور سامح: عارف إللي حصل يا أستاذ نادر؟

الإبن وصل المطار الساعة ٩ و رُبع وماما هُدى إتوفت الساعة ٩ ونُص.

ودي حاجة أنا شوفتها بعيني مش بحكيها على لسان حد.

نادر: حقيقي أنتوا بتشوفوا مواقف صعبة جدًا ومؤثرة جدًا وأنا مبسوط إن الناس هتقرأ وتعرف عنكم أكتر.

دكتور سامح: أنا عارف إنك كُنت عاوز مواقف تخوُف بس إحنا أغلب إللي بيحصل عندنا مواقف إنسانية، بس خليني أقولك إن إحنا كل ليلة بعد ما بنهدي النور قسم الرعاية بيتحول لمكان بنسميه وادي الموت، بصراحة أنا بخاف من غُرفة الرعاية بالليل بس ما بقدرش أقول ده

نادر: بتخاف من إيه؟

دكتور سامح: بخاف من الهمهمات إللي بسمعها والهمس المُرعب والأصوات إللي بتهمس بإسمي والخيالات المُظلمة إللي بشوفها بين السراير

- بخاف من الخبط إللي بسمعه على الباب بالليل وأنا متأكد إن مفيش حد واقف برة

- بخاف وأنا متأكد إن ملك الموت جاي يمارس مهامه

- بخاف وأنا عارف إني عامل مساعد له في تنفيذ المهمة إللي جاي ليها

- بخاف لما بسمع حد من المرضى وهو غايب عن الوعي بيبكي ويقول سيبوني أرجع ولو حتى يوم، ولما أسمع مريض بيقول أنا جايلك يا أمي ولا أسمع مريضة بتقول سامحني يا أبويا و لما أسمع شابة صغيرة بتقول ولادي أمانة

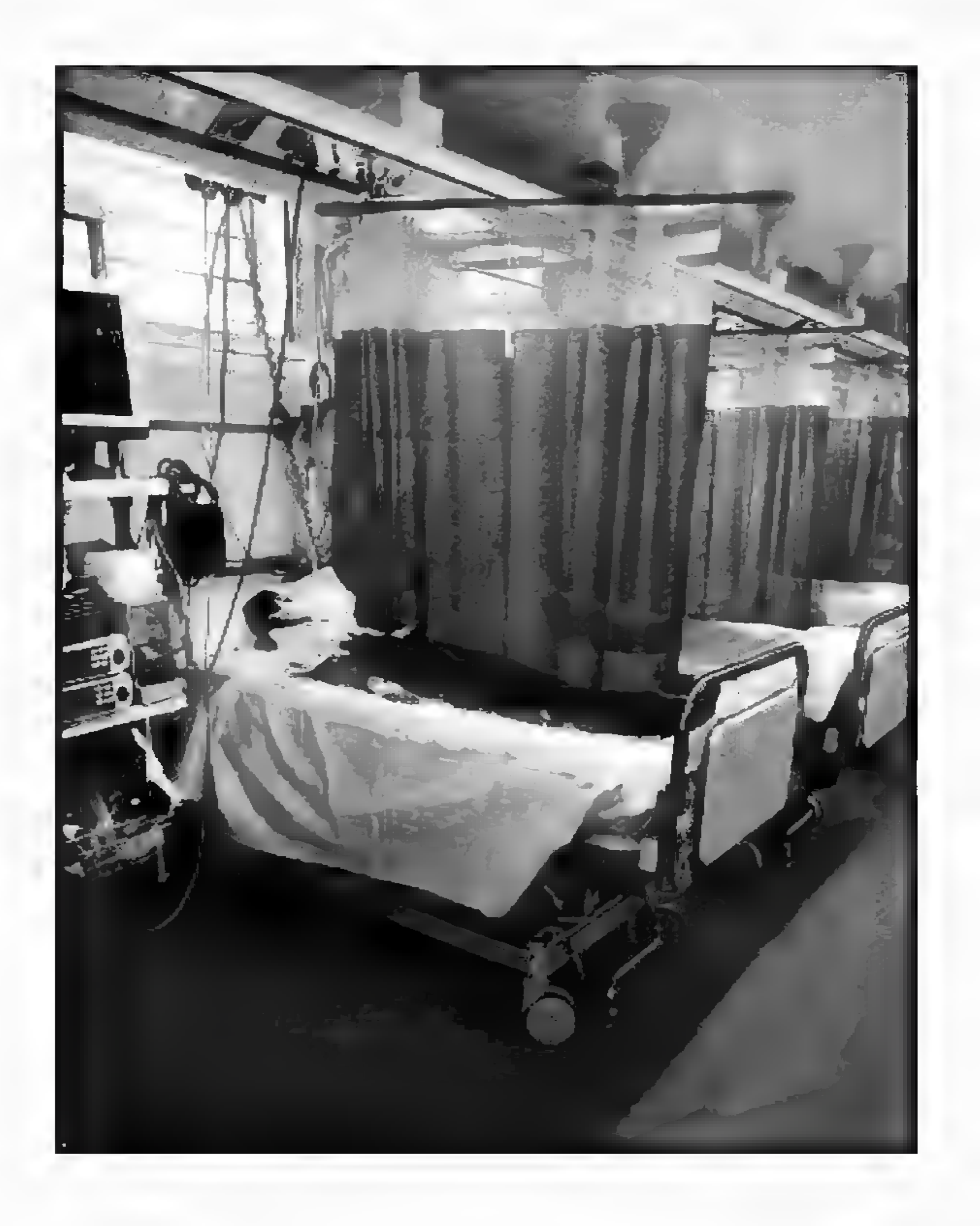
- بخاف لما ببقى بتجوّل من سرير للتاني وبتابع الحالات بالليل وألاقيهم مفتّحين عينهم وبيبصولي ومابيتكلموش

- بخاف لما مريض في غيبوبة تامة ويفتح عنيه ويبتسملي

- بخاف لما أكون واقف جنب مريض في غيبوبة ويمد إيده ويمسك إيدي ويكلبش عليها وكأنه بيقولي ماتخليهُمش ياخدوني

- بخاف لما مريض يفوق من غيبوبة و يحكيلي عن كُل إللي اتعمل معاه وهو في الغيبوبة بدِقة شديدة ولما أساله عرفت إزاي ده؟ يقولي: أنا كُنت طاير وشايفكُم وأنتوا بتعالجوني

- بترعب من الراوية الموّحدة إللي كل مرضى الغيبوبة بيتكلموا عنها، رواية الممر المُظلِم إللي في أخره ضوء بعيد وإنهم طول ما بيبصوله بيكونوا مرتاحين وبيجروا ناحيته، وطول ما هما بيجروا في إيدين بتطلع من تحت الأرض و تمسك رجليهم و كيانات مُظلمة بتجري وراهم في الممر ده.



تعرف إن قعدتنا النهاردة دي كُنت عارف إنها هتحصل من أسبوع؟

نادر: إزاي؟

دكتور سامح: عم إسماعيل قالي في صحفي هيجيلك وهيتكلم معاك وهيكتب كلام كويس عنك

نادر: ده مريض عندك في الرعاية؟

دكتور سامح: لأ، ده مغسّل عرفته بطبيعة الشُغلانة، أقولك قالي إيه كمان؟، قالي إنك هتطلب مني أوصلك بيه علشان كدة الورقة دي فيها تليفونه وعنوانه وهو مستنيك يا أستاذ نادر

توقفت عاجزًا عن الرد والتعليق، حقيقي الموت وما قبله وما بعده عالم يستحق نظرة أكتر شمولية مش مجرد نظرة خوف من سكرات الموت وأقوال مُتضاربة حول ما يحدث للميت في قبره.

نادر: أنا بشكر الظروف إللي جمعتني بيك يا دكتور سامح

دكتور سامح: الشُكر لله يا أستاذ نادر

نادر: أستأذنك وأسف إني طوّلت عليك

دكتور سامح: أنا إللي أسف إني كُنت سبب في الدموع إللي بتحاول تمنعها من أول ما بدأت كلامي، بس خليني أقولك حاجة فلسفة الموت أعمق بكتير من فقدنا لحبايبنا، طول عمري شايف الموت ما هو إلا عبور لحياة أفضل بكتير

نادر: أشكرك

تركت دكتور سامح وأنا مُحمّل بمشاعر وأحاسيس كتيرة جدًا يغلُب عليها إنها مشاعر إيجابية، يمكن ده ما كانش

المتوقع من القعدة دي لكن إللي حصل بصراحة أفضل بكتير من أي سيناريو كُنت راسمه.

قومت مشيت وبعد ما ركبت التاكسي في طريق رجوعي للبيت، بدأت أفكر في حواري مع سامح، ووقفت عند حاجة مهمة خلتني كنت هتجنن!!، هو إسماعيل ده عرفني إزاي؟، لأني بقيت مشهور ولا فيه حاجة تانية غريبة بتحصل؟!، لا. لا. لا، كده جنون، أنا افتكرت حاجة مهمة جداً، البرواز بتاع الغروب فوق القبور اللي شوفته لما زورت الست راضية، كان موجود عند دكتور بيتر كمان!!، والكلمات اللي رددها عليا عم حمدي، كان مكتوب منها على بليزر نحاس!!، وعلى شنطة دكتور سامح!!، لا. كده جنون بجد، أنا إزاي ما كُنتش واخد بالي من كل ده؟، ولا أنا اتجننت ولا إيه؟!..

الفصل التاسع
(حامل أسرار الموتى)

بعد ما عقلي كان هيشت مني، لقيت نفسي الوقت سرقني في التفكير وكنت قربت على البيت، كانت الساعة ستة مساءً، المفروض إني هطلع البيت، وأقعد أرتب إللي كتبته وأفرغ إللي سجلته، ما أنا لازم أعرف كل ده آخرته إيه، ولازم أكمل، والصبح هكلم عم إسماعيل المغسّل.

كان قلبي بيدق بسرعة غريبة، أول مرة أحس إن اللي بيحصل مُريب لدرجة دي، وبدأت أسأل نفسي: يا ترى بقى مين قابلته ميت ومين عايش؟، وفجأة اتفزعت على صوت تليفوني بيرن!!.

نادر: ألو.. نادر فودة مين عايزني؟

المتصل: أنت متصلتش بيا ليه؟، هو مش دكتور سامح قالك تكلمني؟

نادر بتعجب: عم إسماعيل المغسّل؟!

المتصل: أيوة يا سيدي هو ولسه جايب رقمك من دكتور سامح حالًا، أنت فين؟

نادر: أنا روّحت

إسماعيل: بطّل كدب وقول للسواق إللي أنت معاه يجيبك ويبيجي على العنوان إللي معاك في الورقة.

نادر: مش ممكن نأجل لبكرة؟

إسماعيل: لأ مش ممكن يا النهاردة يا مفيش

نادر: حاضر ياعم إسماعيل، اطلع ياسطى على القلعة

وصلت العنوان بعد ساعتين لفّ ودوخة، وعلى الساعة تمانية وشوية كُنت قدام البيت، كان ساكن في الدور الأرضي، بيت صغير على أول طريق آخره مقابر، مجرد ما خبطت واحد فتحلي وقالي بزعيق: أنا مبحبش شُغل العيال الصغيرة الطايشة ده اتفقنا على ميعاد يبقى تلتزم بيه

نادر: ماشي ياعم إسماعيل أنا أسف

إسماعيل: أنت لسه هتتأسف أدخل يلا خلينا نخلص

نادر: أنت عرفت منين إن أنا هروح للدكتور سامح

إسماعيل: عرفت، وعرفت إنك روحت لنحّاس وروحت لمراته راضية وروحت لحمدي وروحت للدكتور بيتر و لسه هتروح لناس تانية

نادر: بردو ماجاوبتنيش!، كل دول ناس أنت عرفت إن أنا

روحتلهم بعد ما أنا روحتلهم ومشيت إنما على حسب كلام دكتور سامح أنت كُنت عارف إن أنا رايحله من قبلها

إسماعيل: اعفيني..

كان جوايا إحساس إني قلبي مقبوض، عم إسماعيل ده شكله وهيئته وطريقته كلهم عِجاب، كفاية إحساسي إني قاعد جوه قبر مش بيت، واللي جاي على بالي، إن في الغالب بيتر وسامح أموات، حتى إسماعيل نفسه، رغم إني شايفه وقاعد قدامي!!.

نادر: عاوزني ليه ياعم إسماعيل

إسماعيل: أنت إللي عاوزني مش أنا إللي عاوزك، ولو مش عاوز تسمع حاجات من إللي أنا بشوفها براحتك

نادر: لأ طبعًا، هو أنا هاجي المشوار ده كُله على الفاضي؟ أكيد عاوز أسمع

إسماعيل: مش هتطلع الجهاز إللي بتسجّل بيه؟

نادر: حتى دي كمان عارفها؟

إسماعيل (مُتجاهلًا سؤالي): عمري ما بنسى المتوفي إللي روحت أغسله في الزاوية، تقريبًا أنا اتضربت من مراته وبناته ضرب عُمري ما اتضربته طول عُمري

نادر: ضربوك ليه؟

إسماعيل: علشان داخل أغسّل أبوهم، المهم بدأت يابني الغُسل وبدأت أوضيه وفي عز ما أنا بوضيه الراجل قام متّاوِب و رجع قطع تاني!

أنا بقيت واقف مش عارف أنا بيتهيألي ولا دي حقيقة، أطلع أسألهم حد كشف على أبوكم، أعشمهم ولا أكمل الغُسل؟

سميت وقولت أكمل قام الراجل عطس!

قولت مابدهاش طلعت برة و قولتلهم أبوكوا ما ماتش أبعتوا هاتوا الدكتور بسرعة، الزغاريط ملِت البيت وبعد الضرب إللي اتضربته كُله بقى يحضن فيّا، مفيش عشر دقايق وكان الدكتور جه وكشف عليه وقال الراجل ميت وشبعان موت، بقيت أحلف له إن الراجل إتّاوِب وعطس قدامي.

قالي: أنا ليا إللي قدامي، أنا دكتور وده شُغلي.

تخيل بقى أنا بغسّل واحد وأنا مُتأكد إنه ما ماتش وكل الشواهد إللي حواليا بتقول إنه مات!

وأنا بلِف الكفن على نصه إللي فوق وبنيّمه على جنبه اليمين الراجل قام ماسكني من كتفي اتمكنت وقومت ضاربه

بالقلم قولت يمكن يفوق ولا في فايدة.

جابوا النعش وشالوه، واحد من إللي شايلين النعش قال: الميت اتكلم!

حصل هرج ومرج ورجعوا شالوه بالنعش تاني وراحوا بيه على الجامع، في الوقت ده قررت إن أنا مش هسيبه وهفضل معاه.

وصلنا الثُرب و أنا طول الطريق عمّال أقول للناس يا جماعة الراجل ده فيه حاجة مش مظبوطة ولا حد سأل فيا، نزلوا بيه الثُربة و سمعنا زعيق جاي منها كانوا تلاتة إللي بيدفنوه تحت طِلع إتنين و شايلين واحد منهم بيقولوا إنه أغمي عليه تحت، قولت في وقتها على طول الميت كلمّه، بردو محدش سمعني وقفلوا على الراجل الثُربة وكُله إتشغل بالثُربي إللي أغمي عليه ومشيوا وسابوا الميت لنصيبه.



خدت تليفون واحد من الثُربيّة الإتنين التانيين وطِلع إللي أغمي عليه أبوهم الثُربي الكبير، و تاني يوم اتصلت بيهم أتطمن على أبوهم رد عليا ابنه وقالي أبويا فاق بالضبط بعد دقيقتين وقالي:

الميت حيّ.. الميت إللي دفناه حيّ!

إحنا بلغّنا على طول أهل الميت و قالوا إنك قولتلهم كده أنت كمان، فتحوا الثُربة وجت عربية الإسعاف خدته وودوه

المستشفى وكشفوا عليه قالوا إنه توفى من ٤٨ ساعة!!!

نادر: ممكن أقابل التُربي ده؟

إسماعيل: هتقابله، بس ماتستعجلش

نادر: طب مصير الراجل إللي مات إيه؟

إسماعيل: لما تقابل التُربي يحكيلك

نادر: طب أنا دايماً أسمع إن في حاجات على وشّ الميت بتشوفوها بتقولكم إذا كانت دي سوء خاتمة و لا حُسن خاتمة؟

إسماعيل: أسف دي حاجات ماينفعش أقولها، دي بالذات أمانة ولو قولتها أبقى خاين للأمانة.

- تعرف يا أستاذ نادر إن أنا ما باخدش فلوس على الشُغلانة دي؟ ومش أنا لوحدي، معظم زمايلي كدة.

أنا بعمل ده زكاة عن نفسي و عن عيالي وبدعي ربنا يقدّرني أفهم كل رسالة الميت بيوصلهالي وأنا بغسله، وبحاول دايمًا أستره من عيون الناس حتى أقرب الناس له، ده أنا في مرة مجرد ما بدأت أغسّل الميت فضل يبكي ودموعه ما بتقفش، ولاده إنهاروا خرجتهم كلهم برة وشديت الكُرسي وقعدت جنب راسه أقرأ قرآن وأذكُر ربنا

فوق الساعة وكُنت بمسح دموعه بمنديل لحد ما بطّل بُكاء واترسم على وشه ابتسامة حسيت إنها طُمأنينة.

كُنت في مرة دخلت أغسّل واحد لقيته فاتح بوقه على الأخر ومكلبش وعنية مبرقة زي ما يكون شايف جهنم قدامه، أهله كانوا مغطيين وشه من كُتر خوفهم منه، جبت طرحة قماش كبيرة من مراته و لفيتها حوالين دماغه بالطول و شديتها جامد لحد ما بوقه إتقفل وعقدتها كذا عُقدة و فضلت أضغط على عينيه علشان تقفل لحد ما قفلت بعد يجي عشر دقايق لكن وأنا بغسّله وبدّخل المية بين صوابع رجليه شوفت منظر مستحيل أنساه، عنيه فتحوا تاني لكن كلها كانت بيضا والنني الأسود اختفى تمامًا، معرفتش أعمل حاجة غير إني رميت ملاية على وشه لحد ما أخلص غُسل و بعد ما خلصت رفعت الملاية بحذر شديد لقيت عينيه بقت كُتلتين من الدم، ما كانش قدامي حاجة أعملها غير إني أكفن على المنظر ده.

نادر: قولي ياعم إسماعيل إيه أكتر مرة ارتحت وأنت بتغسّل؟

إسماعيل: همَ مرتين يابني

- مرة كُنت بغسّل إمام جامع، طول ما أنا بغسّله ريحة الأوضة كانت جميلة جدًا وكان على وشه ابتسامة بشوشة

تطمن.

نادر: و المرة التانية؟

إسماعيل: كُنت بغسل طفل، أمه كانت مُنهارة وخرجوها برة وبمجرد ما بدأت أغسّله قومت فتحت الباب وطلبت منها تدُخل علشان تشوف إللي أنا شايفه.

نادر: كُنت شايف إيه ياعم إسماعيل؟

إسماعيل: ملاك نايم يابني و كل شوية الضحكة تملى وشه كأنه عايش و لولا إنه ميت وشبعان موت كُنت شكيت في إنه ميت، بعد ما أمه شافت المنظر ده وقفت وشاركت في الغُسل، ده غير الحالة العامة إللي كانت في الأوضة كنت حاسس إن في زفة عريس بتستعد علشان تبتدي وكُنت سامع أصوات عذبة معرفش مصدرها لكني مرتاح و سعيد جداً وأنا بسمعها.

نادر: أصوات إيه أنا مش فاهم؟ كان في كلام قدرت تميزه؟

إسماعيل: كانت حاجة كده عاملة زي أصوات العصافير وأصوات تسبيح جميلة جداً تخليك طاير، بالمناسبة والدة الطفل هي كمان سمعت، أزيدك من الشعر بيت؟ إللي شالوا نعش الطفل سمعوا الموضوع.

- تعرف إن إحنا كمغسلاتية وحانوتية و تُربيّة برغم حُزننا لوفاة أي طفل إلا إننا بنكون مبسوطين في نفس الوقت إننا شاركنا في توصيله للجنة و دايماً أقول لكُل أم و لكُل أب فقدوا طفل ليهم، ملّوا عنيكوا منه كويس بالنظرة الأخيرة لأن ده سبب دخولكم الجنة وإوعوا تضيعوا السبب ده علشان دُنيا طالت أم قصُرت فهي دُنيا زائلة.

نادر: طب إيه إللي عندك تاني تقولهولي؟

إسماعيل: كُنت في مرة بغّسل ميت و أنا بغسل له راسه لقيت حاجة في ودني بتقولي دفّي المية أكتر، من غير تفكير دفّيت المية فعلًا، بعدها عرفت من مراته إنه لما كان بيستحمى وهو عايش كان بيحب يدفي المية سواء صيف أو شتا.

وفي مرة كُنت بغسّل أخين توأم ماتوا في حادثة، أقسم لك إني كُنت لما بغسّل واحد بسمع التاني بيعيط ولما أغسّل التاني أسمع الأولاني بيعيط.

كُنت في مرة بغسّل شيخ، طول ما أنا بغسله شامم ريحة حلوة جدًا طالعة من جسمه وسامع صوت قرآن بيترتل بصوت جميل من مصدر غير معلوم.

الحكاية إللي هقولهالك دي تفسيرها مش عندي، اتصلوا

بيّا أروح أغسّل واحد في المستشفى، روحت فقابلني أولاده و قالوا هنطلعه من التلاجة و فعلاً طلعوه وحطيناه على ترابيزة الغُسل إللي موجودة في المستشفى وأول ما شغلت الخرطوم و المية جت عليه، الراجل فتّح عينيه الإتنين وبصلي بصة عمري في حياتي ما بنساها، حسيت إن عزرائيل إللي بصلي ولقيت عينيه بتلف في الأوضة بخوف شديد لدرجة إني بصيت حواليا عايز أشوفه هو بيبص على إيه!

ولاده الإتنين كانوا معايا ماحدش منهُم شاف حاجة من إللي شوفتها، كملت الغُسل و طول ما أنا بغسّل سامع عياط حد و نهنهة كلها خوف وفزع، سندناه و قعدناه على ترابيزة الغُسل حسيت بنار طالعة من جسمه بتحرقني، ماكنش قدامي أي حاجة أعملها غير إني أخلص الغُسل بسرعة، لما خرجت لقيت واقف برة واحدة سِت عمالة تعيط وتقول:

يارب سامحه على إللي عمله.

شاورتلها وخدتها على جنب وقولتلها أنتي مراته؟

قالتلي: أه

قولتلها: من غير ما أعرف تفاصيل، إللي حصل جوا بيقول إن جوزك عمل مُصيبة وإللي سمعتك بتقوليه أكدلي الكلام ده، شوفي جوزك عمل إيه وحلّيه قبل ما يتقفل قبره عليه.

ردت قالتلي: أكل حق ولاد أخوه الأيتام وأنا هكلم مرات أخوه دلوقتي وهقولها تيجي تاخد كل حقوقها بس يسامحوه

نادر: هل معنى كده إن كُل واحد بيغسّل بيقدر يعرف حالة الميت إيه؟

إسماعيل: هل كُل صحفي بيعرف يعمل مواضيع زي التانيين؟

نادر: لأ

إسماعيل: و ده نفس الرد بردو لأ.

نادر: اتفضل كمّل

إسماعيل: هحكيلك حكاية الجُثة إللي من غير راس، انتبه كويس للي هتسمعه.

- برغم إننا بنشوف كتير و قليل لكن لما بيجيلي جُثة من غير راس و أعرف إنها مقطوعة بفعل فاعل، موضوعة بيبقى بيخوّف، لما فتحت الجراب الكبير إللي محطوط فيه الجُثة، طبعًا كانت متشرحة لكن ده مايخصنيش أنا بغسّلها زي أي جُثة، بدأت أوضيها فجأة قام النور قطع، في الحالات إللي زي كده بيبقى معايا كشاف بشغله لحد ما حد من إللي

موجودين برة المغسلة يفتحلي، طلّعت الكشاف علشان أولعه إنه يشتغل أبدًا مع إني مغيّر البطاريات بتاعته إمبارح، فضلت أفتح وأقفل فيه علشان يشتغل مفيش فايدة، خبطته خبطتين نوّر وطفى، وفي اللحظة إللي نوّر فيها لقيت الجُثة قاعدة على الترابيزة، لأ و إيه الراس موجودة!!



والكشاف اتسلط على الوش وشوفته بالضبط وكان مُبتسم

ابتسامة نشّفت الدم في عروقي، استعذت بالله من الشيطان الرجيم وفضلت أقول:

- ربي أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون.

- ربي أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون.

- ربي أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون.

وقفت في الضلمة بطولي لا عارف أروح ناحية الباب و لا عارف أنادي على حد، عارف أنت لما تقعد شوية في الضلمة وعنيك تاخد عليها بتبدأ تشوف في الضلمة، أنا شوفت بالضبط إللي هقولهولك..

الجُثة نزلت من على المغسلة وشدت كفن من الموجودين على الترابيزة و لبسته زي ما يكون عباية، تقدر تقول بقى شكلها عامل زي العفاريت إللي بتشوفهم في أفلام الرُعب حرفيًا أنا رجليا مابقتش قادرة تشيلني وشوفت الميت بيلف ببطء في الأوضة ويقف في كُل رُكن شوية لحد ما قرب عند الرُكن إللي أنا واقف فيه وأنا مفيش في إيدي حاجة أعملها غير إني بدعي وبستغفر ربنا، فضل يقرب ببطء مني ومع

كُل خطوة يقربها روحي بتتسحب مني لحد ما بقى واقف في وشي حسيت ببرد رهيب خارج من جسمه، مديت إيديا بالراحة جدًا و قربتها منه علشان أتأكد في حاجة قدامي ولا لأ، لمست بإيدي الكفن وفي نفس اللحظة الكشاف نوّر في إيدي التانية فرفعته ببطء وجسمي كله بيتنفض و سلطته على وشه، شوفت وش مُخيف ونظرات غضب و دم بينزل من مكان الدبح.

هي صرخة واحدة خرجت من الجُثة أنهت كل حاجة وإتطفى الكشاف واختفت الجُثة وساد الظلام من جديد ولقيت إيد بتخبطني على وشي، بصيت لقيتني واقع على الأرض وجنبي الكشاف متكسر وواحد من العاملين في المستشفى بيقولي: مالك ياعم إسماعيل في إيه؟ أنا أول ما الكهربا قطعت دخلت بسرعة لقيتك واقع على الأرض مغمي عليك، مفيش دقيقة والكهربا جت وقعدت أفوّق فيك.

قومت يا أستاذ نادر بصيت بسرعة على الجُثة لقيتها في مكانها والكفن في مكانه زي ما هو لكنه غرقان دم، هل ده معناه إن إللي شوفته حصل؟ الله أعلم.

لما خرجت طلبت من ابن المتوفي يوريني صورة أبوة، كانت نفس الملامح إللي شوفتها جوا في المغسلة، و حاجات كتير بقى يا أستاذ نادر يكفي إن أنا أقولك إن المُغسّل هو

حامل أسرار الجثة وزي ما قولتلك من شوية هي أمانة، تعرف إن أنا لما جيت أغسّل أبويا هو إللي كفّن نفسه؟

نادر: إزاي؟

إسماعيل: والله زي ما بقولك كده، كنت بغسّله في بيته وكانت حالتي وحشة جدًا، بعد ما غسلته خرجت أغسل وشي من كُتر العياط، رجعت لقيته متكفن وعلى وشه ابتسامة عُمري ما شوفتها في حياتي.

نادر: وعملت إيه؟

إسماعيل: بقولك الراجل كفّن نفسه، عايزني أمد إيدي تاني بعد كده؟

نادر: عندك حق، ده الساعة بقت ١٢ يادوب أمشي

إسماعيل: مش هتاخد رقم سند؟

نادر: سند مين؟

إسماعيل: التربي يا أستاذ

نادر: أه، أه صح

إسماعيل: أدي الورقة فيها العنوان بتاعه وتليفون البقال إللي تحت بيته

نادر: طب أقوله إيه لما أكلمه؟

إسماعيل: ما تقولش حاجة وما تروحلوش الليلة دي، بكرة الساعة ٩ بالليل تكون عنده أكون وصلتله وفهمته كل حاجة

نادر: يعني دلوقتي أقدر أروّح؟

إسماعيل: أنت لازم تروّح علشان ليلتك بكرة هتكون أطول ليلة وهتعوز تكون فايق جدًا طول ما أنت قاعد مع سند وتكون مركز في كل كلمة هيقولهالك

نادر: أنا مُتشكر جدًا ياعم إسماعيل، حضرتك تؤمرني بأي حاجة؟

إسماعيل: لا يابني الأمر لله، ما تنسانيش في عددين زي إللي هتبعتهم لدكتور سامح

نادر: هو قالك دي كمان؟

إسماعيل: يابني أنا محدش بيقولي حاجة، ربك مسخر إللي يبلغني بكل حاجة

نادر: طب ما تقولي إيه إللي هيحصل مع سند التُربي؟

إسماعيل: علم الغيب عنده وحده، بس ما تنساش ترتاح كويس النهاردة زي ما قولتلك علشان الليلة بكرة طويلة أوي، اتفضل مع ألف سلامة.

الفصل العاشر
(كيان مجهول)

ودّعت عم إسماعيل وخرجت وعندي مزيج جديد من المشاعر بيغلُب عليها الترقُب والقلق من لقائي بسند الثُربي خصوصًا إن ليّا صولات وجولات مع المقابر وإللي مش فاكر يقدر يرجع للروايات إللي فاتت وخصوصًا (رواية كسّاب).

كساب!!، هل ليه علاقة بكل ده وعايز يرجعني المقابر تاني؟، هل كل اللي بيحصل ده من أفعاله الشيطانية؟، أنا إزاي مباخدش بالي غير لما بمشي!!، كان مكتوب جزء من الكلمات على مدخل بيت عم إسماعيل!!، الكلمة المشتركة اللي شفتها عند الكل وهي (silpa)!!، معرفش ليه أنا المرة دي قلقان كده!.

وصلت البيت والساعة كانت واحدة بعد نُص الليل، دخلت الحمام أخدت دُش دافي كُنت في أمسّ الحاجة ليه علشان محتاج أنزّل من على جسمي تعب وإرهاق الكام يوم إللي فاتوا، وقفت تحت المية الدافية، مر وقت قد إيه معرفش، فوقت كان الحمام مش باين من كُتر بُخار المية إللي ماليه، حسيت بحركة حواليا ماشوفتش حاجة مُحددة لكني شايف كيان تفاصيله مُبهمة بيتحرك في البُخار، بعدها سمعت

صوت أشبه بفحيح التعابين جاي من أكتر من اتجاه، بقيت أبص بسرعة كل ما أسمع الصوت أشوف الكيان ده بيتحرك بسرعة خاطفة جدًا، مديت رجلي علشان أخرج من البانيو، حاجة زقتني بمُنتهى العُنف خبطتني في الحيطة إللي ورايا في دماغي، بدأت الدنيا تلف بيّا، كُنت بحاول جاهدًا إني مافقدش الوعي، وشوفت الكيان المجهول واقف عند مراية الحمام، بعدها حسيت بسائل نازل من دماغي على رقبتي، ما احتاجتش كتير علشان أعرف إن ده دم لأني شوفت الأرض تحت رجليا الدم بينقط عليها، ما حسيتش بنفسي غير وأنا بقع على الأرض.

معرفش مر عليا قد إيه وأنا فاقد الوعي، لما فوقت تحاملت على نفسي وقومت بصعوبة خرجت برة البانيو ووقفت أبُص للمرايا إللي مكتوب عليها بالدم..

- لم ينتهِ الدرس يا غبي

- أوليس القبر ببعيد!



جُملتين مش محتاج أفكر كتير علشان أفهم مين وراهم و أكيد كُلكم فهمتوا، مروة كان عندها حق، وإحساسي وحدسي، كل حاجة بتأكد إن الملعون كسّاب أرسل أحد جنوده علشان يبث فيّا الرُعب ويعطلني عن تكملة مشواري ونجاحي.

فتحت حنفية البانيو علشان أنضف مكان الدم وغسلت المرايا وغسلت راسي مكان الجرح وروحت أوضتي إترميت

على السرير، بصيت في الموبايل كانت الساعة خمسة الفجر.

ونمت، نمت علشان زي ما عم إسماعيل قالي وراك ليلة طويلة معرفش هل كان يقصد إللي حصلي في الحمام ولا يقصد حاجات لسه هتحصلي الليلة دي عند سند الثربي، كُلها ساعات وكل حاجة هتبان.

الفصل الحادي عشر
(الذراع الأخير)

صوت من بعيد بينادي عليّا.

صوت عارفه كويس بس مش قادر أميّز هو صوت مين.

صوت كأنه جاي من العالم الآخر.

صوت مليان ذكريات وحنين خدني معاه لبيتنا القديم وأنا طفل صغير بلعب بالعجلة أم ستّادات قدام البيت مستني صوت أمي في أي وقت وهي بتقولي: بابا جه يا نادر اطلع علشان نتغدى سوا، وبيجي بصوته يقولي: يلا يا حبيبي علشان ناكل سوا أنت عارف إني ما بحبش أتغدى من غيرك.

صوت دافي كان بيحتضني ومجرد ما أسمعه أحس بالأمان.

صوت (مصطفى عبد الرحيم فودة)

أبويا إللي من بعد ما سابني كل حاجة اتعرت

الضهر، المستقبل، الحاضر والأمان.

صوت بيقولي: اصحى يا نادر وراك شُغل كتير يابني.

- صحيت بمُنتهى الهدوء والسعادة وصوت أبويا العذب

لسه بيتردد في وداني.

- صحيت ولقيت دموعي مغرقة المخدة، سمّوها دموع الفقد، سمّوها دموع الحنين لأبويا، سمّوها دموع الفرحة بسماع صوته بعد سنين من غيابه.

يمكن من المرات القليلة إللي أبدأ فيها يومي بالمشاعر الجميلة دي، بصيت في الساعة كانت سبعة بالليل، نمت كتير جدًا ويادوب أقوم ألبس وأنزل أروح لسند الثُربي.

لبست و طلّعت الورقة إللي إدهالي عم إسماعيل واتصلت بالرقم المكتوب ولو تفتكروا هو كان قايلي إن ده رقم البقّال إللي تحت بيت سند.

نادر: سلامو عليكوا، ممكن أكلم عم سند إللي ساكن في الحارة هنا؟

البقّال: حاضر يابني، أقوله مين؟

نادر: قوله نادر فودة الصحفي إللي من طرف عم إسماعيل

البقّال: طب هتستنى شوية ولا ترجع تتصل تاني؟

نادر: لأ هستنى

البقّال: طيب، اطلع يا واد نادي لعمك سند من فوق

قوله في تليفون جايلك من واحد

اسمه.. اسمه.. نادر ولا معرفش إيه من طرف الحاج إسماعيل.

فضلت مستني على التليفون أسمع حوارات وجُمل مُتداخلة من زباين البقّال من عيّنة:

- رُبع كيلو بسطرمة ياعم مُخلِص

- حسابك تِقل أوي يا أستاذ مُنصِف

- صوت سِت بتقول جبت أكياس الفير أند لافلي ياعم مُخلِص؟

- يابنتي ما أنا مش عارف ده للقشرة ولا إيه بالضبط

- ياعم مُخلِص ده كريم تفتيح أقسم بالله كريم تفتيح، هتجيبه ولا أروح للصيدلية إللي في أول الشارع؟

- طب أصبري هسألك عليه تاني النهاردة

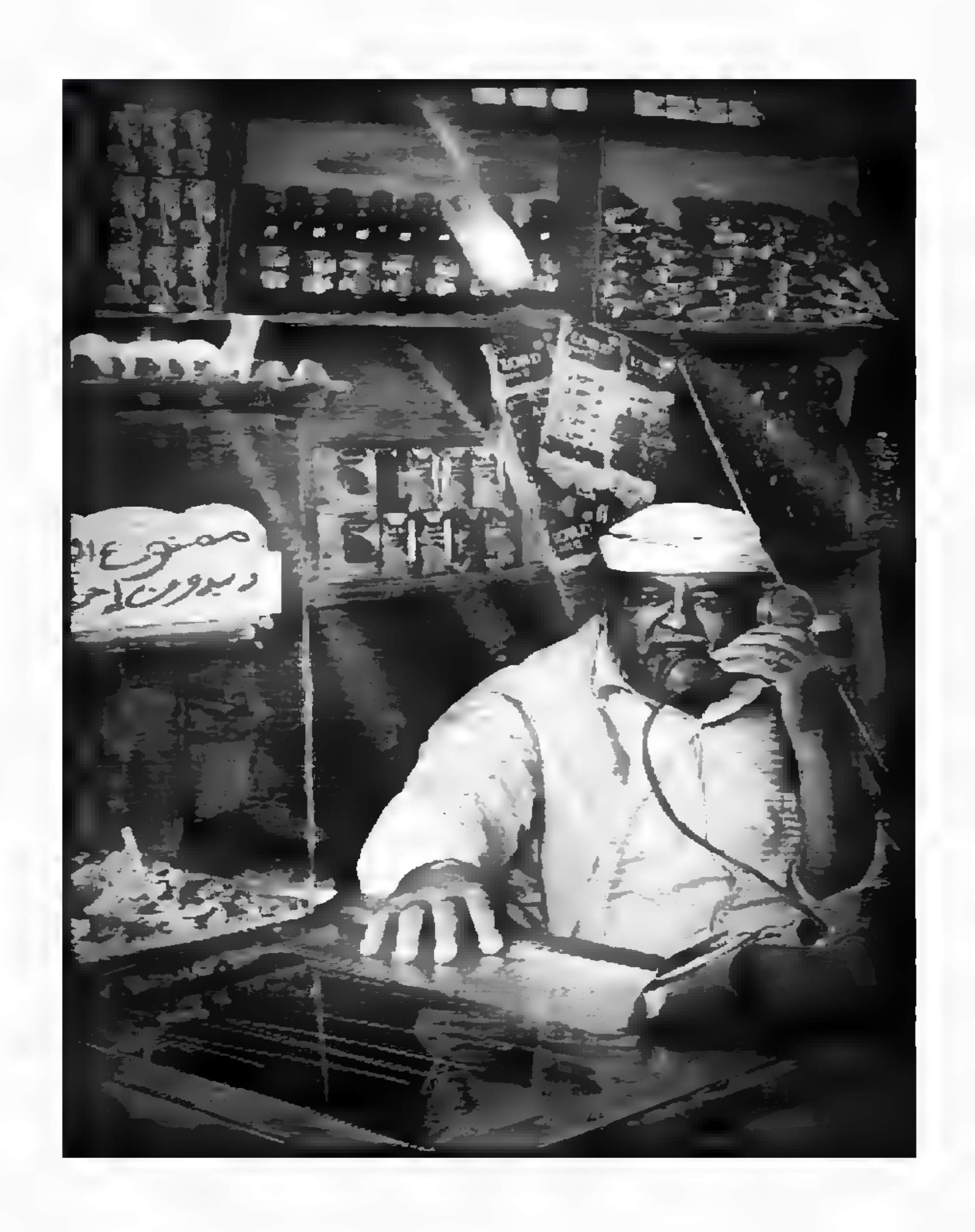
- الحلاوة بتاعت المرة إللي فاتت ماكنتش حلوة زي كل مرة ياعم مُخلِص

- جبت الجبنة البريزيدووووون ياعم مُخلِص؟

- هو أنا أقدر ما أجبش طلباتك

- عاوزة كوز لانشون صلاح وعبد الفتاح

- ألف سلامة ياعم مُخلِص.



‹وفي وسط كُل ده›

- ألو، مين معايا؟

نادر: أنا نادر ياعم سند بكلم حضرتك من طرف عم

إسماعيل والمفروض يكون قالك إني جايلك

سند: أه، أه قالي يابني تشرّف وتآنِس، هتيجي إمتى؟

نادر: أنا لابس يادوب هنزل وهجيلك على طول

سند: قدامك حوالي قد إيه كده؟

نادر: مسافة السكة من عندي لعندك حوالي ساعة

سند: لأ ساعة إيه، خلينا يوم تاني أنا عندي شُغل دلوقتي

نادر: طب بكرة مُناسب ليك؟

سند: بكرة أنا مسافر البلد أزور الحاجّة

نادر: طب و العمل؟ أنا محتاج أقابلك ضروري

سند: بقولك إيه، تعرف تجيلي ٦ أكتوبر دلوقتي؟

نادر: أه طبعًا، أجي فين بالضبط؟

سند: اطلع على طريق الواحات أنا رايح التُرب إللي هناك

نادر: أيوة عارفها

سند: خلاص هستناك هناك، أول ما توصل هتعرف تجيبني، أي حد هتسأله ها يدلّك

نادر: ماشي ياعم سند مع ألف سلامة.

نطيت في أول ميكروباص قابلني رايح ٦ أكتوبر و نزلت ميدان جُهينة خدت عربية من هناك نزلتني قدام مقابر الواحات.

«السلام عليكم دار قوم مؤمنين

أنتم السابقون ونحن بكم إن شاء الله لاحقون».

دخلت طبعًا كانت الدنيا ضلمة قابلت في وشّي واحد سألته ألاقي عم سند الثربي فين؟

قالي: جوا في أوضة الاستراحة

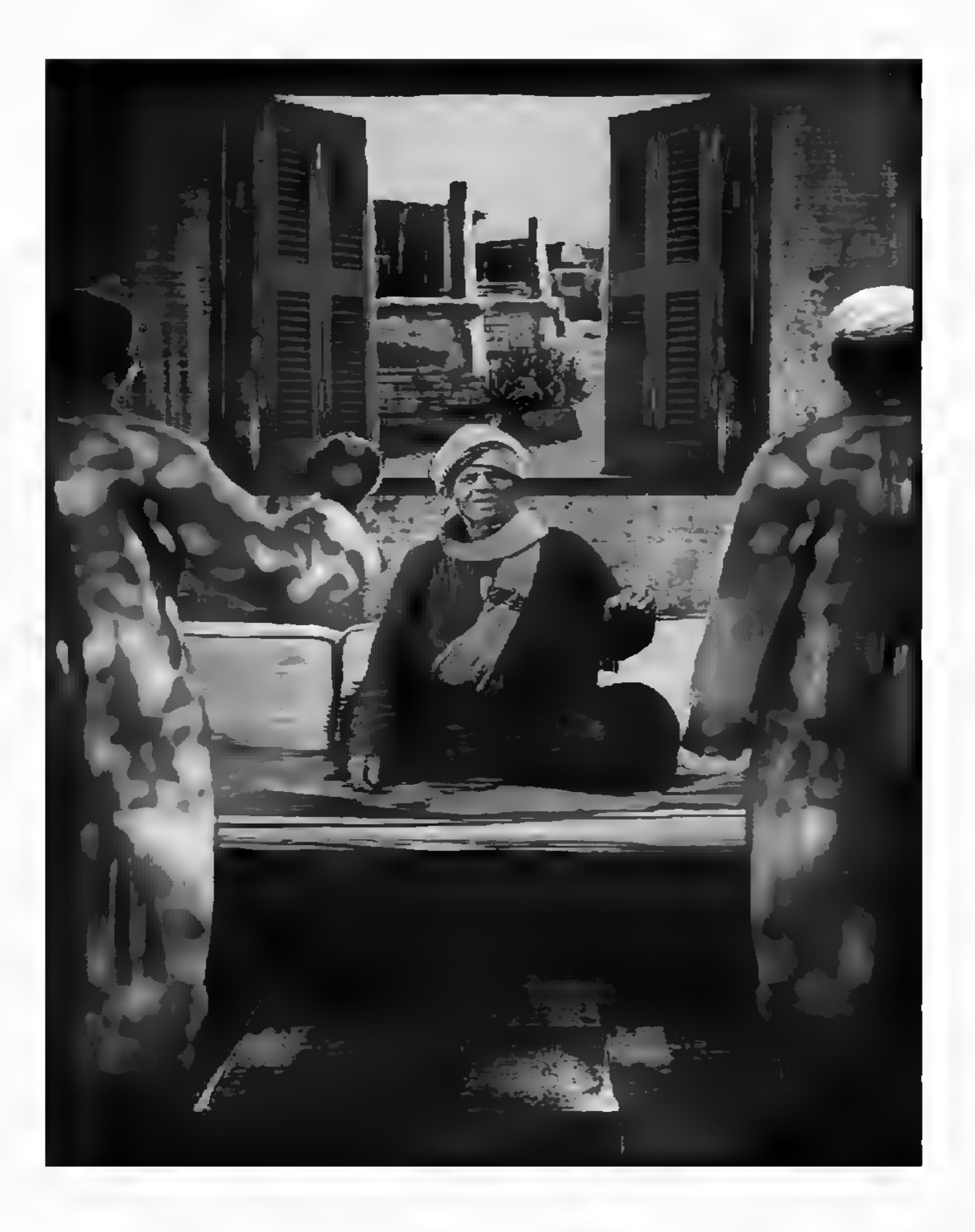
نادر: إللي هي فين دي؟

قالي: في وشّك أهي يا أستاذ

شكرته وروحت على طول على الأوضة، لقيت ثلاثة رجالة قاعدين قولتلهم عم سند موجود؟

واحد رد منهم قالي: اتفضل يا أستاذ نادر أنا سند.

سلمت عليهم و قعدت، جابولي كوباية شاي وخرج الإتنين وتبقى عم سند.



سند: اتفضل يا سيدي اسأل إللي أنت عاوزة كله، أنت متوصي عليك من الغالي

نادر: هو حضرتك ها تدفن حد دلوقتي؟

سند: في واحد ميت ومستنينه يجي من اسكندرية دلوقتي علشان أهله اشترطوا يتدفن مع أبوه، وتقدر تقول إني قاعد معاك لحد ما الأمانة توصل، تحب أحكي أنا ولا تسأل أنت؟

نادر: لا اتفضل احكي ياعم سند، وأنا لو عندي سؤال هسأله

سند: صلِ على إللي هيشفع فيك

نادر: اللهم صلِ عليك يانبي

سند: شُغلانتنا دي يابني مش هقولك من أصعب الشُغلانات بس هقولك من أغربها، من كُتر ما الواحد شاف ما بقِتش أستغرب أي حاجة، يعني مثلًا لو أنت قولتلي دلوقتي إنك ميت وشبعان موت مش هكدبك، ولو قابلتني بكرة وقولتلي إنك عمرك ما شوفتني قبل كده بردو مش هكدبك.

كلنا أموات، وكلنا عايشين في ملكوت الله..

شوفت الإتنين إللي كانوا قاعدين من شوية دول وقاموا؟ دول تُربيّة زيّي، عارف كانوا بيحكولي إيه قبل ما أنت تيجي؟

نادر: إيه؟

سند: إحنا قبل ما بندفن أي حد لازم نفتح التُربة ننضفها ونمهدها علشان تكون جاهزة للضيف الجديد، لما فتحوا التُربة الإتنين سمعوا صوت بيقول: ابني فين؟!

واحد منهم إترعب والتاني رد بتلقائية: على وصول يا حاج

واستأذنوا الإتنين علشان يجهزوا المكان إللي هيتدفن فيه، وبعد ما خلصوا وهما خارجين نفس الصوت قالهم: ما تأخروش ابني عليّا.

موضوع إن إحنا نسمع أصوات في المقابر ده عادي جدًا، في مرة كُنت بالليل بشقّر على التُرب وكان معايا فانوس شغال بالجاز وسمعت صوت واحدة سِت بتقول: اقفل باب الستر يا سندا!

أنا جتتي اتلبشت، بصيت حواليا يمين و شمال أدور على مصدر الصوت مش لاقي، سمعت خبطة شديدة جاية من مكان قريب، جريت ناحية صوت الخبط لقيت تُربة مفتوحة و طالع من جواها نور بيترعش، قربت بحذر شديد لقيت برة التُربة كفن متقطع ومرمي قربت أكتر ووطيت بصيت شوفت أكتر منظر مُرعب في حياتي، كانت واحدة سِت لسه مدفونة وعريانة تمامًا وواحد قاعد جنبها و معاه قلم عمّال يرسم على جسمها! المنظر خلع قلبي، زعقت بأعلى صوتي بتعمل إيه يا ملعون؟



الراجل طلع يجري وزقني وقعني وهرب، سمعت الصوت اتكرر تاني ‹استرني يا سند›، جيت أشيل الكفن كان متقطع ومتهربد قومت قالع الجلابية ورميتها على الميتة، شديت باب الثُربة و قفلته وطلعت أجري على الجامع إللي جنب الثُرب وإللي اتصلى عليها فيه، حكيت للشيخ كُل إللي حصل فاتصل ببناتها.

مفيش نُص ساعة كانوا كُلهم موجودين والشيخ قالهم

أمّكوا لازم تتغسّل تاني، وبعت الشيخ جاب مغسّلة أنا أعرفها كويس اسمها إحسان.

دخلنا التُربة وطلّعنا الجُثة أقسم لك بالله الجُثة كانت بتترعش وإحنا شايلينها و كُنت سامعلها صوت زي ما تكون بتعيط، و جرينا بيها على أوضة في الجامع و المغسّلة خدت بناتها و قفلوا على نفسهم باب الأوضة وأنا والشيخ وقفنا برة، مفيش دقايق وسمعنا واحدة من بناتها بتصوت وصوت المغسّلة عمّالة تستغفر بصوت عالي، دقيقتين كمان وسمعنا المغسّلة عمّالة تقول:

أعوذ بالله، أعوذ بالله، حسبي الله ونعم الوكيل.

المغسّلة واربت الباب وقالتلي أنا عاوزة ميّة كتير أوي إللي بيحصل جوا صعب أوي ياعم سند، قولتلها في إيه يابت يا إحسان؟

قالتلي: شر كبير أوي ياعم سند شر كبير، املالي جرادل وهاتها و شغّل قرآن الجامع وعلّي الصوت.

خدِت مني الميّة وقفلت عليهم و قفلِت عليهم الأوضة تاني، شوية والبنت صوتت تاني و فتحت الباب و طِلعت تجري في الشارع و أختها من وراها، غصب عني من غير ما أقصد لمحت بطرف عيني الأرض في الأوضة من جوا

كانت كلها سوداااا سوداااا كأنها اتصبغت بلون أسود، قلبي دق بسرعة وقولت لإحسان هتعملي إيه لوحدك في المصيبة دي؟

إحسان: وأي مصيبة ياعم سند، سيبني أخلص و لما أطلع لازم تحكيلي أنت شوفت إيه.

دخلت إحسان الأوضة تاني وغابت فوق الساعتين، فتحت الباب وطلبت منّا ندخل نشيل الميتة، دخلت أنا و شيخ الجامع الأوضة كانت زي ما تكون كان فيها حريقة، الكراسي و الحيطان عليهم هباب أسود، محدش علّق و شلناها إحنا التلاتة وطلعنا بيها على التُرب ومن حُسن الحظ إن الجامع جوا المقابر فمحدش شافنا و لا دري باللي بنعمله، فتحت التُربة تاني ودخلناها ونيّمناها على القبلة و لقيت القلم إللي كان الملعون بيكتب بيه، رميته برة التُربة و وقفنا دعينالها وقفلنا التُربة و روحت جبت من الاستراحة شوية أسمنت خلطتهم بميّة و قفلت الباب من برة على المسكينة أحسن الملعون ده يجيلها تاني.

نادر: ماعرفتوش مين إللي عمل كده ياعم سند؟

سند: أهو واحد من أعوان إبليس لا عنده دين ولا دم ولا احترام لحُرمة ميت، كُل إللي عاوزة يعمل السحر بتاعه و لو على حساب آلام الأحياء و الأموات.

نادر: إحسان حَكِتلك شافت إيه جوا ياعم سند؟

سند: ما رضيتش يابني أبدًا، وما قالتش غير دي أسرار بيني و بين الميتة بس أنا حابة أقولك ياعم سند إنها بتقولك «سترتني في رقدتي ربنا يسترك».

نادر: وكملت عادي شُغلك ياعم سند؟

سند: وكملت وهكمل لحد ما أترمي زيهم في رقدتي الأخيرة.

نادر: احكيلي كمان ياعم سند شكلك عندك كتير و أنا عاوز أسمع و أسجل حكاياتك.

سند: طب صلِ على النبي

نادر: اللهم صلِ عليك يا سيدنا النبي

سند: طب زيد النبي صلاة

نادر: اللهم صلِ عليه وعلى كل الأنبياء المُختارين

سند: مانساش يوم كُنت بدفن شاب مات بسكتة قلبية يا قلب أمه، جُم يصحوه لقيوه ميت.

يومها المقابر كانت حزينة حرفيًا من الحزن والصويت عليه.

لكن كله كوم و أبوه كوم تاني، الراجل كان ما بينطقش، كان في عالم تاني، ساكت، أخرس، ما بينزلوش دمعة واحدة، لما استلمت الجُثة و دخلت بيها الثُربة نزل أبوه معايا وكان مابيعملش حاجة غير إنه قاعد يطبطب على ابنه زي ما يكون طفل صغير...

نيّمناه في اتجاه القبلة على جنبه اليمين وجينا نُخرج لقيت الراجل كشف وش إبنه و حط ودنه جنب وش إبنه و قال:

- حاضر يا حبيبي

- حاضر ياقلب أبوك

- بس ماتخافش من أي حاجة هنا

- اللُقا قرّب يا ضنايا أوي

- لأ يا حبيبي مش هسيبك، بس أنت ادعيلي أعرف أوصل لمكانتك دي لما ييجي آواني

- لأ ماتخافش ربك رحيم بينا أوي

- اوعى تنسى عملك معاك يحفظك ويحميك

- حاضر يابني

- حاضر همشي.

أنا كُنت واقف يا أستاذ نادر مش عارف أعمل إيه مقدرش أقول إن الراجل اتجنن من الصدمة، لأن كلامه كان منطقي جدًا ومافيهوش أي حاجة تقول إنه مثلًا بيخرف.

كل إللي عملته إني وقفت أستناه لحد ما يخلص و بص و قالي: كتّر ألف خيرك يابني.

وسندته وخرجنا برا التُربة ووقفنا ندعي وبعدها كالعادة انصرف الجميع...

تاني يوم يا أستاذ نادر جالي أصعب خبر وهو وفاة الأب بنفس الطريقة، جُم يصحوه لقيوه مات!

يومها روحت أدفنه وكُنت حزين جدًا على الأسرة إللي الحُزن طرق بابها في أعز وأغلى إتنين عندهم.

لقيتني بدون تفكير بقول هدفنه جنب ابنه مش في أوضة تانية، لازم الراجل يكون جنب ابنه، وقعدت أسترجع الحوار و الكلام إللي سمعته على لسان الأب إمبارح.

وحصل أغرب شيء عمري في حياتي ما حكيته لحد.

فتحنا التُربة واستلمت الجُثة ونزلتها مع إتنين من الأقارب للمتوفي ونيّمناها على القبلة على جنبها اليمين.

عاوز تصدقني صدقني مش عاوز براحتك

نادر: حصل إيه ياعم سند؟

سند: جُثة الابن لفت يابني لأن كان ضهره لأبوه، لف تمامًا و بقى في وشّ أبوه وجهًا لوجه، وكأنه عاوز يُحضن أبوه و يرحب بقدومه.



أنا وقفت مشلول مكاني مابقولش غير..

- إنّا لله وإنّا إليه راجعون

- إنّا لله وإنّا إليه راجعون

- إنّا لله وإنّا إليه راجعون

وشديت باب التُربة و قولتلهم و أنا خارج...

- وإلتقى الأحبّة

- وإلتقى الأحبّة

- وإلتقى الأحبّة

الناس إللي كانت واقفة برا كلها انهارت من البكاء من بُكائي.

ولحد النهاردة عمري ما حكيت الموضوع ده لحد.

بس في اليوم ده أنا أيقنت إن الموت عُمره ما كان الشيء المُخيف إللي بعض مُدعي التدين بيحاولوا يوصلولنا مفهومه المُرعب ومفهوم القبر وعذاب القبر.

أيقنت إن هناك خلف باب القبر شكل أخر للحياة.

وكل ما أحس بخنقة من الدنيا أفتكر القصة دي، و يمكن خلاص آن الآوان إني أحكيها للناس لعلهم يعيدوا الحسابات والتفكير في كُل أمور الحياة الأولى قبل أن ينتقلوا للحياة

الثانية.

نادر: ربنا يرزقنا جميعاً بحُسن الخاتمة

سند: أمين، جاهز للحكاية إللي بعد كده؟

نادر: حكاية مين؟

سند: حكاية سالم وإخواته

- كُنت قاعد في الاستراحة كُنّا المغرب و جت جُثة واحد اسمه سالم، فقولت للإتنين إللي كانوا قاعدين هنا أنا حاسس إني ضغطي عالي، تقدروا تقوموا أنتوا بالمهمة دي وتسيبوني أرتاح؟ قالولي: تمام عادي مفيش مُشكلة.

- و خرجوا الإتنين وعدى يادوب رُبع ساعة ولقيت واحد منهم جاي يجري ووشه مخطوف وبيقولي: إلحق ياعم سند مصيبة، الميت مش راضي يدخل التُربة!

سند: إزاي يعني؟ روح ياد ادفن أنت وإللي معاك الميت وبطلوا عبط.

مساعد سند: والله ياعم سند الميت ما راضي يدخل التُربة، كل أما نيجي ندخل بيه التُربة يقوم خارج.

قومت يا أستاذ نادر و روحت معاه لقيت هرج و مرج شديد قدام باب التُربة والنعش على الأرض والكل مستنيني

وبيبصولي كأن الحل عندي.

قولت ارفع النعش معايا ياد أنت وهو ومحدش غريب يشيل النعش غير رجالتي

نادر: ليه طلبت إن محدش غريب يشيل النعش غير رجالتك؟

سند: علشان ساعات بيكون في ناس مريضة بتفضل تحرك في النعش وتُزقه وتشده ويطلعوا يقولوا النعش كان طاير بالميت، فأنا بقى قفلت الباب ده خالص.

نادر: وبعدين

سند: شِلت أنا والإتنين الرجالة إللي معايا وناديت واحد من الغفر إللي موجودين شال معانا.

إللي حصل إن مش الميت إللي رافض يدخل، القبر هو إللي كان رافض إن الميت يدخله.

نادر: حسيت بإيه؟

سند: سور يابني سور شفاف بقينا نخبط فيه بيرجعنا لورا و لما قاوحت وقولتلهم زُقوا يا رجالة شوفتلك قدامي حاجة سودا طويلة من الأرض للسقف واقفة ما بتتحركش زي ما تكون هي إللي مانعة دخول الميت، ولما قاوحت أكتر سمعت

صويت وبكاء ستات وأطفال و في وسط كُل ده لقطت جُملة: حرام عليك مشّيه من هنا.

قولتلهم: بس خلاص كده.

نزّلنا النعش على الأرض وزعقت في الناس إللي واقفعا لقولت: الراجل ده القبر رافض دخوله و محدش يعرف السبب غيركم أنتوا، أنتوا أهله وعارفين كويس مين مدفون في القبر وليه رافض إن الميت يتدفن جنبه، اللهم بلغت اللهم فاشهد.

واحد من وسط إللي واقفين قال بصوت عالي: أنا معايا مفاتيح تُربنا، ممكن ندفنه عندنا؟

قولتله: ياريت

وفعلًا دفناه بمنتهى السلاسة في التُربة التانية و بعد ما دفناه وقفلنا الباب والشيخ قال: اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه الأن يُسأل، رجعت قولت تاني: مش معنى إنه اتدفن في التُربة دي إن الموضوع اتحل، هقولهالكوا تاني شوفوا الراجل ده عمل إيه و حلوا الموضوع.

بدأت الناس تتسرب واحد ورا التاني و يروّحوا لحد ما تبقى واحد جه وقالي:

إللي أنت قولته صح، الراجل ده أخوه وولاده الإتنين ماتوا في حادثة واتدفنوا في التُربة دي و بدل ما ياخد باله من البنات اليتامى أكل ورثهم و قاطعهم و سابهم مش لاقيين ياكلوا، فطبيعي إن أخوه وولاد أخوه يرفضوا إنه يتدفن معاهم.

نادر: أعوذ بالله، هي الفلوس ممكن تخلي الإخوات تعمل في بعض كده؟

سند: وأكتر يابني، أنت أبوك عايش؟

نادر: لأ متوفي

سند: لو ليك يابني إخوات بنات زوّدهم في ميراثهم شوية وأنت راضي، دول غلابة وأنت مكان أبوك.

نادر: هعمل كده ياعم سند أوعدك هعمل كده

سند: تعرف إن أنا كُنت بصحى في نُص الليل على صوت واحد بيُصرخ ويقول سامحني يا أخويا، الله أعلم ده حلم ولا حقيقة بس زي ما قولتلك في الأول أنا ما بقيتش أستغرب أي حاجة.

نادر: إللي بعده

سند: ده أنت قلبك قوي بقى، هحكيلك عن جنازة حصلت

وكانت مؤثرة جدًا، إحنا دفنا في مرة راجل قاعد.

نادر: قاعد! يعني إيه؟

سند: الحكاية في حد ذاتها مأسوية جدًا وبتحصل كتير، سابوا أبوهم مات وشبع موت ومحدش حتى فكر يشقّر عليه، الجيران شموا الريحة وكسروا الباب و دخلوا لقوا الراجل ميت على الكُرسي وجسمه بدأ يتحلل، بلغوا ولاده الكُل حاول يتكلم على الموضوع على قد ما يقدروا فكانت النتيجة إن الجُثة جت متيبسة وحاطينها في كيس أشبه بكيس الزبالة ومحدش حضر الجنازة، ولما نزلت علشان أستلم الجُثة كانت صدمة عمري، الراجل ملفوف في الكيس و هو قاعد ومتغرق كمية فورمالين مش طبيعية، واحد من إللي كانوا جايين معاه قالي: أرجوك إكرام الميت دفنه، المرحوم مالوش ذنب إن ولاده ماعندهمش أصل ونسيوا إن ليهم أب وكُنا إحنا جيرانه إللي مُتكفلين بيه، وحابب أقولك حاجة محدش من ولاده جه معانا، كل إللي عملوه بعتولنا ظرف فيه ٣٠٠٠ جنية وكرتونة مصاحف نوزعها في العزا إللي بردو مش هيحضروه.



سند: أحكيلك على حاجة كمان يابني ولا أكلملك حد يجي يحكيهالك بنفسه؟

نادر: هو أنا هلاقي تُربي أحسن منك، احكي أنت

سند: ما هو أصله مش تُربي، إللي هطلبهولك ترزي الميتيين

نادر: وهو الميتيين كمان بقى ليهم ترزي؟

سند: هو مش كلنا لما بنموت بيتفصلنا كفن يابني؟ أنا

هكلملك ترزي الميتيين يحكيلك على حاجة كده سمعتها منه قبل كده.

وبالفعل نده عم سند على واحد من المُساعدين بتوعه و قاله: معاك يا ولا نمرة إبراهيم الترزي

المُساعد: أيوة ياعم الحاج

سند: اديها للأستاذ نادر علشان هيطلبه

المُساعد: اتفضل يا أستاذ نادر الرقم أهو.

طلبت الرقم واديت عم سند التليفون..

سند: ألو، إزيك ياد يا إبراهيم

- إزيك ياد وإزايّ أمك وأبوك

- بس يا ضلالي

- محمول بتاعي إيه؟!

- هو أنا لاقي أكل، أنت فاكرني على قلبي فلوس زيك

- القصد، معايا ضيف خُد كلمه واحكيله على الحاجات إللي حكيتهالنا الجُمعة إللي قبل إللي فاتت لما كُنا سهرانين في الاستراحة إللي هنا في الثُرب

- وأنت مالك شغال إيه!

- أنت تعمل إللي أقولك عليه وأنت ساكت

- أيوة شاطر كده بدل ما أكلم أمك دلوقتي أخليها تطيّن عيشتك

- خُد أهو

نادر: أيوة يا أستاذ إبراهيم

- إزايّ حضرتك

إبراهيم الترزي: الحمد لله في نعمة يا أستاذ

نادر: احكيلي إللي عم سند بيقول عليه ده يا اسطى إبراهيم

إبراهيم: الله يسامحه عم سند هو إللي سمّاني ترزي الميتيين، خليني أحكيلك عن حاجة هو لسه مايعرفهاش..

- أول إمبارح دخلت الأوضة إللي فيها السندرة إللي فيها الأكفان إللي شاريها.

- لقيتهالك مفتوحة والأكفان كلها واقعة في الأرض ما عدا كفن واحد لقيته متعلق على الشماعة ورا الباب كأنه حد واقف.

نادر: و ده معناه إيه؟

إبراهيم: إن هو إللي عليه الدور أستعمله

نادر: واستعملته؟

إبراهيم: وحياتك بعدها بئص ساعة كان الخبر جالي

نادر: إيه كمان

إبراهيم: أكتر من عشرين مرة يجيلي في المنام ناس معرفهمش ويقولولي: جهزلنا الكفن بتاعنا!



تاني يوم يجيلي خبر حد مات وأهله عاوزينله كفن، ولما بالصدفة أشوف صورة الميت ألاقيه نفس إللي جالي في المنام لدرجة إني اتعودت خلاص، ولما الميت مايجيليش في المنام قبل موته بليلة أقلق وأشك إني عملت حاجة غلط حرمتني من الرؤية دي.

وفي مرة عيلة واحد ميت خدوا مني ستة أكفان مش مع بعض، كُل شوية يطلبوا كفن لحد ما كملوهم ستة، ولما سألت

اتقالي: أنت مالك؟! أنت ليك تاخد الفلوس بتاعتك وأنت ساكت.

نادر: ومعرفتش السبب بردو؟

إبراهيم: لأ طبعًا، عرفت وهي دي تفوتني

- بيقولك الميت كان جسمه عمّال يرشح ميّة سودا من كل جسمه ومحدش عارف السبب.

- الحكاية إللي هحكيهالك دي هي إللي خلت عم سند يطلبني ليك

نادر: إيه هي؟

إبراهيم: لقيت كفن مُستعمل في دولاب هدومي ولا أعرف جه إزاي ولا أعرف كفن مين، بس كان كفن هلكان ودايب و فضلت من بعد مالقيته يجيلي في المنام واحدة سِت ناكشة شعرها وبتفتح الدولاب بتاعي تاخُد الكفن القديم و تقرّب مني وأنا نايم وتلفه على دماغي ووشي وعاوزة تفطسني بيه، مابطلتش أشوف الكابوس ده غير لما إديته لعم سند دفنه.

نادر: ومعرفتش إيه إللي حطه عندك؟

إبراهيم: عرفت

نادر: مين؟

إبراهيم: اسأل إللي جنبك

نادر: يعني إيه؟

إبراهيم: هو إللي غفلني وحطه في الدولاب عندي

نادر: مش فاهم هو كان بيعمل فيك مقلب ولا إيه؟

إبراهيم: بقولك اسأله هو يقولك، أنا هستأذن علشان ورايا شُغل.

نادر: تمام يا إبراهيم مُتشكر جدًا مع ألف سلامة.

توجهت بنظري لعم سند وسألته.

نادر: هو إيه حكاية الكفن إللي أنت حطيته في دولاب إبراهيم الترزي؟

سند: ده عيّل مهبول، أنت هتصدقه؟

نادر: أه مصدقه، بس إللي مش فاهمه أنت ليه تعمل كده، أنت عايزه يتلبس مثلًا؟

سند: ولا يتلبس ولا حاجة، هو الكفن هيطلع عفاريت؟!

نادر: كفن مين ياعم سند؟

سند: كفن السِت إللي حكيتلك عليها في الأول إللي لقيت الملعون بيكتب على جسمها الطلاسم.

نادر: مش فاهم بردو عملت كده ليه؟

سند: الصراحة علشان أخلص

نادر: هو أنا ليه حاسس إن في حاجة أنت مخبيها عليّا.

سند: الصراحة أه، أنا في حاجة شايلها على قلبي ومحتاج أحكيها علشان أرتاح

نادر: اعتبرني ابنك ياعم سند واحكيلي

سند: بس يبقى سر بيني وبينك

نادر: ربنا يسّهل

سند: إحنا بعد ما دفنّا السِت إياها، أنا شِلت الكفن في كيس اسود وحطيته في الاستراحة و نسيته، بعدها بيومين كُنت بشقّر في الثُرب وراجع الاستراحة وأنا برة حسيت بحركة غريبة، اتسحبّت ودخلت لقيت واحد بيسرق الكيس إللي فيه الكفن المتقطع، هجمت عليه و طبقت في زُمارة رقبته لحد ما داخ ووقع في الأرض، بُبص على وشه لقيته الملعون إللي كان بيكتب على جسم الميتة، اتمكنت وقومت رازعه بالقلم، فاق وكان مرعوب وطلّع من جيبه رُزم فلوس

و قالي: دول خمس ألاف جنية دول نصيبك وكُنت جايبهملك.



سند: نصيبي في إيه يا حرامي يا دجال يا نصّاب

الدجّال: تمن حفاظك على الكفن المُدة إللي فاتت، خُد الفلوس دي نصيبك

سند: أنا مش فاهم حاجة

الدجّال: خليك معايا وهتكسب ألافات زيّها كُل يوم، أقولك على حاجة كمان؟ أنا هخففلك مراتك من السرطان

سند: أنت عرفت منين إن جملات عندها سرطان؟

الدجّال: أنا بأتطلِع على كل حاجة، خليك معايا هتكسب

سند: هتخفف مراتي؟ ده بجد؟

الدجّال: جربني

سند: طب إيه المطلوب مني؟

الدجّال: أولًا، تاخد الفلوس دي تصرفها تتهني بيها أنت ومراتك وعيالك

ثانيًا: تنّفذ كل إللي هطلبه منك بعد كده

ثالثًا: تاخد الكفن ده تحطه عند واحد تعرفه متجوز ولسه ماخلفش علشان هعمل بدل للمرض بين مراته وبين مراتك.

أول حد جه في دماغي كان إبراهيم الترزي، روحت زورته وسهيته ودفست الكفن وسط هدومه من غير ما أفكر إللي بعمله ده هيوديني فين.

صرفت الفلوس وجبت للعيال ومراتي حاجات وبعد يومين

قابلت إبراهيم الترزي صُدفة في الشارع كان وشه أسود من الحُزن، قولتله: مالك؟

قالي: مراتي جالها المرض الخبيث.

في اللحظة دي حسيت بسعادة لأني أيقنت إن كده مراتي بتخف، ليلتها وأنا في الاستراحة إللي في التُرب لقيت الدجّال بيفتح عليا الباب وداخل وبيقولي:

الدجّال: عندنا شُغل الليلة

سند: إيه المطلوب؟

الدجّال: تُراب من تحت ميت ودراع تكسّره وتخلطه بالتُراب ده

سند: دراع مين إللي أكسّره؟!

الدجّال: دراع أي جُثة

سند: تقصد هيكل عظمي يعني؟

الدجّال: بقولك جُثة لسه فيها شحم ولحم، تُسلخ الدراع و تطحن العضم و تخلطه بالتُراب إللي تحت الجُثة و تحطهولي في العلبة دي

سند: أنا هفتحلك تُربة وتعمل إللي أنت عاوزه

الدجّال: لأ يا حبيبي أنت هتعمل إللي أنا عاوزه، وأنا هقعد هنا أشرب كوباية الشاي وأعدلك الخمس ألاف الجُداد لحد ما تيجي.

بصراحة جُملة إن في خمس ألاف جنية تانيين بنّجِت ضميري للمرة التانية، خدت مفاتيح التُرب وطلعت أدوّر على الضحية الجديدة.

كان في جُثة راجل عجوز لسه مدفونة ما بقالهاش أسبوع، بكل بجاحة خبّطت على الباب ودخلت وبكل بجاحة قعدت قدام الجُثة وقولتلها: لا مؤاخذة ياعم الحاج الحيّ أبقى من الميت، أنت كده كده أكيد في الجنة ونعيمها و مش هيفرق معاك حتة دراع ناقص، طّلعت من جيبي سكينة جايبها معايا و كشفت الكفن، الريحة كانت لا تُحتمل، تعمدت ما أكشفش وشه، طلعت دراعه برة و بدأت أنشر بالسكينة من عند الكوع، إحساس التقطيع نفسه كان بينخور في جسمي وعضمي وحاسس بذبذبات التقطيع بتجتاح كل جوارحي.

فضلت أنشر بالسكينة لحد ما وصلت للعضم، بدأت أدق بيها زي الجزار ما بيدُق على عضم الدبيحة علشان يكسره، كان باقي جزء صغير و السكينة تلّمت و مش عاوزة تكسره، قومت ماسك الدراع و كاسره زي ما يكون بكسر ورك فرخة.

نادر: يا نهارك أسود، أنت جبت الجبروت ده منين؟

تجاهل سند كلامي وكمّل...



فضلت أحرك العضمة يمين وشمال علشان تتقطم لحد ما فعلًا إتكسرت والدراع اتقطع وبقى في إيدي.

بتلفت لقيت الميت قاعد والكفن نازل من على وشه ومغطيه دود كتير، عينيه مش موجودة و مكانها دود عمّال

يخرج من الفتحتين وبوقه مفتوح على الأخر و طالع منه صوت حشرجة مُرعِب، رفع دراعه التاني بيحاول ياخد مني دراعه الأولاني، أنا من الصدمة اتشليت مكاني وبكل بجاحة بردو استعاذت بالله من الشيطان الرجيم.

طبق في رقبتي بدراعه إللي باقي وحاول يقف لكنه معرفش بسبب تكتيفة الكفن لرجليه، فاتكعبل ووقع فوقي رقدني على الأرض و بقى وشه في وشي والدود عمّال ينزل من وشه و يدخل جوا عنيّا و يخترق وداني بسرعة رهيبة.

حاولت أزُقه من فوقي لكنه كان تقيل جدًا وشالل حركتي، الدود لما دخل وداني كُنت بسمع صرخات كأنها جاية من جهنم و لما دخل في عنيّا شوفت مكان أسود الأرض بتاعته عبارة عن جمر مُلتهب أسود اللون بيفور وحسيت بحرارة رهيبة بتاكل في جسمي كُله، وسمعت صوت مُخيف بيقولي:

- يا ويلك يا نابش القبور هنا مكانك

- اتقي الله قبل أن تُسحق هنا.



اتبدل المشهد ولقيتني نايم في أرض التُربة والدراع المقطوع على بطني والجُثة متكفنة وراقدة زي ماهي.

خدت الدراع وطلّعت من جيبي العلبة إللي الدجّال إدهالي ومديت إيدي تحت كفن قديم موجود وخدت رمل وتُراب مليت بيهم العلبة و خرجت و قفلت التُربة ورجعت الأوضة للدجال لكني مالقيتهوش!

بس لقيت على الكنبة الخمس ألاف جنية، أنت عارف يا

أستاذ نادر الخمس ألاف جنية في أيامنا دي يقدروا يعملوا إيه؟

يعملوا كتير، أنا مش ببرر لنفسي الجريمة إللي عملتها بس بقولك أنا وقتها كُنت بفكر إزاي.

نادر: كمّل ياعم سند كمّل

سند: لفيت الدراع في كيس أسود وخدته وروّحت.

كانوا كُلهم نايمين في البيت، خدت الدراع ودخلت الحمام وجبت معايا سكينة من المطبخ وبدأت أشقِّي الدراع، خلصت تقريبًا نُصه وباب الحمام خبط!

سند: مين؟

جملات مراتي: إلحقني يا سند أنا تعبانة أوي

سند: حاضر أنا طالعلك حالًا.

شِلت الدراع بالبقايا بتاعته في الكيس ودلقت مية في الأرض ونضّفت المكان بالمسّاحة بسرعة وجريت فتحت الباب لقيت مراتي مرمية في الأرض.

رميت الكيس من إيدي وشِلتها دخلتها الأوضة، إللي أنا ملاحظه إن مراتي حالتها كانت بتسوء، فضلت جنبها لحد ما فاقت وأول ما فتحت عينيها انفجرت في العياط و قالتلي:

أنا هموت قريب يا سند

سند: ماتقوليش كده، أمال الفلوس إللي أنا بجيبها دي هعالج بيها مين؟

جملات: أنا هموت قريب يا سند، أنا شوفت حلم وحش أوي

سند: خير اللهم أجعله خير

جملات: شوفتك في تُربة بتاكل دراع واحد ميت وبعد ما كلت وخلصت حطيت في الكفن خمس ألاف جنية، وقفلت عليه التُربة وخرجت.

سند (مُرتبكًا): إيه التخريف إللي بتقوليه ده، ده أكيد بسبب الدوا

جملات: أنت بتعمل إيه يا سند؟

سند: بعمل إيه في إيه؟

جملات: أنت فاهمني كويس، إيه إللي بتعمله خلاني أشوف الكابوس ده وخلى حال البيت غم على طول وخلى الورم يتمكن مني؟

سند: أنتي هتخفي، افتكري كلامي كويس

جملات: كُله على الله، لما أموت بالله عليك ما تدخلش البيت قرش حرام

سند: نامي أنتي وارتاحي والصبح نكمل كلامنا.

أدركت في اللحظة دي إني سايب الشنطة إللي فيها الدراع على باب الحمام، خرجت أجري من أوضة النوم وروحت عند الحمام ما لقيتش الشنطة!

دخلت بصيت في أوض عيالي لقيتهم في سابع نومة كنت هتجنن، في اللحظة دي باب الشقة خبّط، روحت فتحت لقيت أخر حد كنت أتوقعه، الدجّال!

سند: أنت بتعمل إيه هنا؟ وعرفت عنواني منين؟

الدجّال: أسئلة ملهاش لازمة، فين الأمانة؟

سند: ضاعت

الدجّال: نعم يا روح...!!!

سند: أقسم لك بالله الدراع ضاع

الدجّال: قسم مايلزمنيش ولا أحب أسمعه

سند: تعالى أوديك الثربة وأوريك بنفسك إن الدراع مقطوع من الجُثة، بالأمارة علبة الثُراب موجودة معايا.

الدجّال: فين الأمانة يا سند؟

سند: بقولك ضاعت، ضاعت أنت مابتفهمش؟

الدجّال: لم لسانك و ادخل هات الأمانة بدل ما تندم عمرك كُله، أنا عملت إللي عليّا واديتك الفلوس

سند: و ليه ما يكونش أنت إللي سرقت الدراع، والله ما أستبعدها

الدجّال (غاضبًا): قولتلك متقولش القسَم ده تاني

سند: أمال أحلفلك بإيه؟

الدجّال: احلف بسُلطة وسطوة سيلبا

سند: وده يطلع إيه ده؟!

الدجّال: مولانا إبليس العظيم

سند: مولاك أنت

الدجّال (ضاحكًا): تكونش فاكر إن الفلوس إللي بديهالك بجيبها من حسابي في البنك؟

سند: يعني إيه؟ هو مش أنت بتعمل سحر وأعمال وتاخد من الناس فلوس؟

الدجّال (ضاحكًا بصوت عالي): فلوس مين يا جاهل و

ناس مين يا غبي؟ إحنا كُلنا موجودين لخدمة الكيان الأعظم إللي بيديره مهندس الكون سيلبا الأعظم

سند: أنا مش فاهم حاجة، أنت إيه؟

الدجّال: أنا إللي هندمك عمرك كُله على خيانتك

سند: روح في ستين داهية، أنت وسيلبا بتاعك، أنا من يوم ما شوفت خِلقتك ماشوفتش غير الهم والحُزن وربنا بعتلي إشارة على لسان الغلبانة مراتي، أعوذ بالله منك أنت وإللي زيك وربنا يسامحني على المصايب إللي عملتها و أنا بجري ورا الفلوس.

الدجّال (ضاحكًا): سقطت في الامتحان يا إنسان والعقاب في الحمام

سند: أنت مش ممكن تكون بني أدم

الدجّال: وعرفتها لوحدك؟

بدأ وشه يتمط بالطول وفضل يطول وإيديه فضلت تطول لحد ما وصلت للأرض وشعره بدأ يتساقط لحد ما اتحول لمسخ دميم، و مد إيده وغرسها في بطني ورفعني عن الأرض وحدفني بكل عنف، اترميت وخبطت في باب الحمام إللي كان مقفول فتفتح وشوفت مشهد رهيب عمري ما

بنساه، شوفت مراتي قاعدة في أرض الحمام و حواليها كمية فلوس ملهاش حصر، وماسكة دراع الجُثة إللي كان ضايع وبتأكله و نازل من بوقها دود مالي الأرض، مجرد ما شافتني أصدرت أصوات زي ما أكون قدام كلب سعران و بفكر أخد منه العضمة.

أنا فضلت مرمي في الأرض بنزف من بطني لحد ما هي خلصت أكل الدراع كله، وبدأت تلم الدود إللي في الأرض وتأكله بنهم شديد.



وقامت وقفت وعدت من فوقي و غابت دقيقتين ورجعت معاها إيد الهون إللي بتعمل بيه الكُفتة ونزلت دق في عضم الدراع، مع كل خبطة كانت بتخبطها على العضم كُنت بسمع صرخات رجل رهيبة جدًا.

طحنِت الدراع كُله لحد ما بقى بودرة و جت عندي طلّعِت علبة التراب من جيب جلابيتي وخلطت التراب بالعضم المطحون وقامت وقفت و فضّت العلبة كُلها على دماغها

وجسمها.

أنا كُنت خلاص بطلّع في الروح وأخر حاجة شوفتها كانت جسم مراتي وهو بيترعش بعُنف وهي مرمية في الأرض وبترجّع من بوقها دود بكميات رهيبة.

أنا بعد كدة غِبت عن الوعي تمامًا.

فوقت لقيتني في المُستشفى و أختي جنبي بتعيط وبتقولي: البقية في حياتك يا سند ياخويا مراتك الغلبانة ماتت.

اتجننت وفضلت أصرُخ وأزعق وأقول:

إزاي... إزاي... إزاي......

دخل الدكتور في اللحظة دي وقالي..

الطبيب: أنت اتكتبلك عُمر جديد

سند: مراتي ماتت إزاي يا دكتور؟

الطبيب: تسريب غاز

سند: لأ ماكانش في غاز متسرب

الطبيب: ده تقرير الطب الشرعي ياعم سند وأنت ما موتش علشان كُنت جنب الحمام مش جوا

سند: بس دي كلِت دراع الجُثة ورمِت على نفسها مخلوط تُراب الثُربة وعضم الميت وشوفت الدود بيطلع من كل حته في جسمها

أخت سند: إيه ياخويا إللي بتقوله ده بس؟

الطبيب: معلش سيبيه، كُل دي هلاوس بسبب كمية الغاز إللي استنشقها، كُلها يومين وتخرج وهتبقى أحسن إن شاء الله

سند: و مراتي؟

أخت سند: اتدفنت ياخويا

سند: وعيالي؟

أخت سند: عندي في البيت ياخويا.

نادر (مُقاطعًا): يعني كُل ده كان تهيؤات؟

سند: وقتها مكنش عندي إجابة، لكن بعدها عرفت واتأكدت لما كلمت إبراهيم الترزي وقولتله روح افتح دولابك و شوف في كفن قديم ولا لأ؟

و فعلاً لقاه زي ما قالك في التليفون.

- كان باقي حاجة واحدة بس هي إللي هتأكدلي كُل حاجة

نادر: تنزل التُربة تشوف دراع الجُثة مقطوع ولا لأ؟

سند: بالضبط

نادر: و لقيت إيه؟

قاطعنا صوت جاي من برة بيقول:

الجنازة جت ياعم سند يلا علشان ندفن الميت

سند: أستأذنك يا أستاذ نادر، الشُغل وجب

نادر: طب قولي قبل ما تمشي لقيت الجُثة كاملة ولا من غير دراع؟

سند: أشوفك على خير يا أستاذ نادر

نادر: طب أستناك بعد ما تدفن تيجي تقولي؟

سند: مع السلامة يا أستاذ نادر

نادر (بنبرة كُلها يأس): ليه مش عاوز تقولي طيب؟

سند: علشان لو قولتلك باقي إللي عندي الدجّال مش هيسيبك

نادر: أنا مش عايز أعرف غير إجابة سؤال واحد بس وعمّال أعيدهولك، جاوبني وهمشي ومش هتشوفني تاني أبدًا.

سند: اللهم باعد بين هذا المتوفي وبين خطاياه كما باعدت بين المشرق والمغرب. كلنا أموات، افتكر دايمًا الكلمتين دول

صوته بدأ ينخفض وهو بيدعي لأنه كان بيبعد عن غُرفة الإستراحة (إستراحة الموتى).

مشي عم سند وسابلي سؤال مالوش إجابة.

مشي عم سند وزيه زي إللي فاتوا إداني دروس أولهم: إن طريق الجشع نهايته الهلاك

وأخرهم: إن مش دايمًا النهايات لازم تكون مُريحة ومش لازم أبدًا تكون سعيدة..

بعدت أصوات الناس، وفضلت أنا جوا الإستراحة لوحدي، حالة لا مبالاة سيطرت عليا، حالة سكون رهيب سادت الأجواء حواليا، قلبي إتقبض فجأة والخوف إحتل قلبي وعقلي، وجه في بالي حوار الدجال مع عم سند وخصوصاً اسم silpa، افتكرت!!، ده كان على بليزر نحّاس وأنا افتكرته ماركة البليزر!، كان مكتوب على البرواز عند راضية وعند دكتور بيتر، وعلى شنطة دكتور سامح!، وقاله عم حمدي، وكان مكتوب على مدخل بيت عم إسماعيل!!!، خرجت زي المجنون من الإستراحة وأنا بدعي وبقول يارب اللي في بالي يطلع غلط، ولما خرجت، لقيت نفسي في وسط المقابر،

سكون تام يخلع القلب من مكانه، أصوات كتير في ودني وجوايا، أصوات كل الناس اللي قابلتهم!، صوت مروة بنت خالتي وهي بتحذرني من كسّاب، وصوت كسّاب نفسه وهو بيتوعدني أنه مش هيسيبني!!..

حطيت إيدي على دماغي من الحيرة والذهول، فضلت أتلفت حوالين نفسي، فجأة الإستراحة نفسها إختفت!!، ولقيت حاجتي مرمية على الأرض!!، ده يأكد حاجة واحدة بس، هي إن كل إللي قابلتهم أموات، حتى عم سند، كان كلامه صح، كلنا أموات!!، وإن الكل عايش في ملكوت الله، بس.. بس إيه نتيجة كل ده!!، أنا هتجنن..

كنت في حالة يُرثى لها، مزيج من الذهول والخوف والتخبط والجنون وعدم الفهم، رميت نفسي بثُقل جسمي على الأرض جنب أدواتي، كنت حاسس إن رجليا مش شايلاني، لكني حاولت ألِم حاجتي لأني لازم أمشي، ما هو مش معقول هفضل قاعد في وسط المقابر.

وفجأة ؛ تليفوني رن، رقم غريب، معرفش إيه خلاني أرد، حاجة جوايا قالت لي لازم ترد، ولما رديت سمعت صوت ضحكة بسخرية أنا عارفها كويس، صوت ضحكة كسّاب!!!..

جسمي إتخشب، ماكُنتش عارف أنطق ولا مصدق نفسي إن اللي بسمعه ده حقيقي، قطع حيرتي وهو بيقول:

كسّاب (بسخرية): إوعى تفكر إني هسيبك، وعلشان بحبك جبتك هنا، المقابر عشان موتك ساعته جت، وكمان تّدفن على طول من غير بهدله، ده لأني بحبك أوي يا نادر، أنا اللي عملت لك لعنة الأموات، وكل إللي إنت مريت بيه ده تحت سيطرتي أنا، أسهل حاجة بيحتاجها الواحد هي أرواح نجسة، عاشت طول حياتها تسعى لده، استعد لأن نهايتك هتبدأ حالًا.

- قفل في وشي السكة، وحسيت إن جسمي بيتنفض وبقى تلج، أصوات كتير مرعبة كسرت السكون، وخيالات بدأت تتحرك من حواليا، كنت شايفها على كل شواهد القبور إللي فجاة بدأت تتفتح ويخرج منها خيالات أكترا!، وبدأت كل الخيالات تتجمع جوا بعض، كأنهم بيكونوا أو بيشكلوا كيان واحد، كنت فاقد السيطرة على نفسي تمامًا، جسمي بيترعش ومش عارف حتى أبلع ريقي ولا أرمش من كُتر الخوف، غمضت عنيا، وسبحان من ألهمني وقدرت أعاند نفسي وخوفي وفضلت أردد آيات من القرآن، ومسكت شنطتي وحطيت إيدي على المصحف وفضلت مكمل في ترتيل الآيات، لحد ما فجأة سمعت صرخة مدوية تخلع القلب وتنشف الدم، فتحت عيني لقيت كيان عظيم وكبير قدام عيني، ومرة واحدة تلاشى!!!، زي ما تلمح عربية ماشية

بسرعة رهيبة، بلعت ريقي بصعوبة، وخدت أدواتي وجريت زي الهربانين، ومعرفش إزاي رجعت البيت!!، أول ما دخلت، جريت على مذكرات نحّاس، بدأت أفنط الورق بدقة أكتر، ولقيت ورقة متهالكة ومتطبقة، وكان مكتوب فيها:

نحّاس: أنا فوقت لنفسي، وده خلى النهاية أقرب، وعشان كده هعترف، لازم أخلص ضميري، أنا وهما عملنا كل شئ غلط، أنا نقلت الأموات اللي مش هيتسأل عليهم لا راحوا فين ولا جم منين، وحمدي خباهم في تلاجته، ودكتور بيتر كان بيشرحهم ويخرج أعضائهم بمعاونة دكتور سامح، وإسماعيل المغسل كان بيقوم بمهمته على أكمل وجه عشان يحفظ السر، لأن الجثث دي بردو بتتغسل، أما سند فكان ليه الباقي، لو حد احتاج يعمل عمل ولا يدفن سحر، وكان الخير بيعُم على الكل، أنا النهارده بخلص ضميري، يمكن كلامي ده يوصل للشخص اللي أنا وصيت راضية مراتي إنها تحكيله وتديله المذكرات، لعل وعسى ده يخفف عني، وأكون عملت حاجة واحدة بس صح في حياتي، ولعلهم هما كمان يفوقوا، يمكن لو تابوا زي ما أنا توبت، يتكشف المستور، ويرد الأرواح المعذبة لسبيلها.

- كنت بقرأ وأنا في قمة الذهول ومش مستوعب إللي بقراه، وبسأل نفسي إزاي ما شوفتش الورقة دي، ولقيت

إجابة نابعة من قلبي: أكيد لأن ربنا رايد إن أفعال الشيطان دي كلها تتكشف، وزي ما قال كسّاب بردو، إن الأرواح بتاعتهم كانت نجسة، وهو قدر من خلالها يلاعبني عشان يجنني ويوصلني للموت، لكنه نسي أهم حاجة، إن مهما بلغ مكر ودهاء الإنسان، ومهما استعان بأقوى الشياطين، فربنا أقوى من أي شئ، وليه القدرة المطلقة في خلقه وتدابير الكون، وعشان كده ألهمني إني أقدر أكمل وأكشف كل الحقيقة، ونجاني من تدابير كسّاب وشياطينه، ويمكن ألهمهم كمان التوبة والإعتراف بالذنوب اللي عملوها، وعشان كده، حكولي كل حاجة بطريقة مش مباشرة، عشان أقدر أكمل الطريق، ولما وصلت لسند، إداني مربط الفرس زي ما بيقولوا.

تليفوني رن بصوت رسالة، فتحتها وقريتها وأنا حاسس بإحساس الظافر المُنتصر، لأن الرسالة كانت من كسّاب، ونص الرسالة:

(قدرت تفلت المرادي، لكن أوعدك إن لسه فيه جولات كتير جاية مش هتقدر تفلت منها أبداً، أنت لسه ما شوفتش حاجة يا نادر، وبكرة نشوف مين إللي هيضحك في الآخر)..

من غير أي تأجيل، قعدت وأنا جوايا حماسة وشغف وكملت باقي التحقيق وخلصته، وأنا كُلي أمل وإستعداد

للجولة إللي جاية مع كسّاب..

وإلى لقاء ليس بقريب

كان معكم نادر مصطفى عبدالرحيم فودة.

نقله لكم الإعلامي أحمد يونس.

Bonus from Ahmad youness...

عزيزي القاريء:

الجزء الجاي ده افصل نفسك تمامًا

عن العمل بالكامل وأنت بتقراه.

أو حتى قوم اعمل كوباية شاي

أو فنجان قهوه و اقراه....

الغد المخيف (الوريث)

المستقبل..

مبقاش في حاجة إسمها دول العالم..!

أيوه زي ما قرأتم كده..

مبقاش في حاجه إسمها دول العالم..

كل الحدود بين الدول إختفت..

كله بقى دولة واحدة كبيرة ولها مجلس رئاسي عالمي.. الهدف كان ُصنع السلام بين شعوب الأرض وخصوصًا بعد لما إكتشفنا إن معظم الحروب إللي كانت بتحصل كانت بسبب أطماع كل دولة في الدولة التانية..

بداية الإندماج بين الدول كانت من سنين فاتت لما هاجمت

العالم أزمة اقتصادية رهيبة محصلتش قبل كده.. مات كتير من سكان الأرض وإتعذب الأغلبية ما بين جوع أو مرض أو فقر..

باع أغلب سكان العالم أملاكهم وإنخفضت بشدة قيمة العقارات والأراضي وزادت أسعار الاكل والشرب..

بدأنا نسمع عن دعوات ومطالب بثورة جياع.. كان في بركان من الغضب بين كل الشعوب والأفراد.. إضطرابات في كل مكان وفي كل حتة.. حرايق في كل مكان إلتهمت الأراضي والحيوانات وشردت كتير من البشر.. فيروس خطير جديد بيموت بسببه ملايين المواطنين وخسائر مادية تُقدر بمليارات الدولارات.

حروب وصراعات في معظم الدول وكوارث طبيعية في كل مكان..

بسرعة إتجمعت حكومات العالم علشان يبحثوا عن حل سريع لحل الأزمة قبل ما تحصل ثورة الجياع لأنها لو إنطلقت فمفيش مخلوق على كوكب الارض يقدر يوقفها ووقتها دي هتكون نهاية العالم حرفياً..

إتجمعت حكومة الولايات المتحدة وحكومات الشرق الأوسط و أروبا و آسيا وكل القارات لحل الأزمة وبعد

مشاورات ونقاشات كتيرة تم الإتفاق على دمج كل دول العالم في كيان عملاق مشترك وبدأ السلام والأمان يرجع تاني، بس خلال كل ده وفي وقت إنشغال البشر كان في خطر رهيب بيقرب منا من غير ما نشعر..!

ومن هنا تبتدي قصتنا...

حدث في 2050

بعد لما ساد الإستقرار والسلام العالمي وبدأنا نعيش في حالة إزدهار ورفاهية كبيرة فجأة تطبيق إنتشر جداً غطى على واتساب في العالم وكل حاجة مشابهه وبيدي فلوس ومكافآت وسفر وفسح بشكل رهيب.. كله ساب واتساب والمكالمات وإتجهوا له..

التطبيق كان اسمه ((no sam))..

مجرد ما بتشترك فيه بيبعت ليك فلوس وهدايا مجانية.. وكل لما تبعت لحد إنه يشترك كان بيجي ليك فلوس أكتر كمان.

في لحظة العالم كله مبقاش له سيرة غير سيرة التطبيق ده والفلوس إللي بتيجي من وراه.. الموضوع كان جميل ومغري ومحدش كان بيفكر كتير.. الكل كان بيشترك والكل كان بيحمله والفلوس كانت بتيجي للناس كل يوم في ميعاد

معين.. كل يوم الساعة ستة وست دقايق وست ثواني كان بيتم توزيع المكافآت على المشتركين..

لغاية لما في إتبعتت من التطبيق رسالة مفادها إنك هيجيلك رسالة صوتية ليلة رأس السنة، جمّع ُأسرتك و اسمعوها كلكم مع بعض وممكن تكسبوا مليون دولار..!

الدنيا بتتقلب طبعاً والإعلام بيتكلم عن الرسالة الغامضة دي والميلون دولار إللي ممكن الناس تكسبها بمجرد تنفيذ شروط بسيطة..؟!

محدش كان مصدق بس الناس طلعت تقول إن التطبيق بيعمل كده علشان يزود إنتشاره و إن ده نوع من أنواع الدعاية والإعلان..

طبعاً كان في معارضين رافضين التطبيق وبدؤا يحذروا الناس منه ويقولوا إنه تطبيق مريب و بيوزع فلوس بشكل هستيري و أكيد وراه حاجة أو سر غامض..؟!

وسط كل المؤيدين والمعارضين للي بيحصل كانت الأيام بتمر وليلة رأس السنة أو الليلة الموعودة لوصول الرسالة بتقرب هى كمان والكل على أحر من الجمر وعاوز يعرف مين إللي هيكسب الفلوس دي وإيه مضمون الرسالة إللي هتتبعت..؟!

ليلة رأس السنة وتحديداً الساعة ستة وست دقايق وست ثواني، بييجي الفويس والكل بيجمع أفراد ُأسرته ويسمعوا سوا.. بس تاني يوم كلنا بنكشف الكارثة..!!!

تِلت سكان العالم إختفوا..!

أيوه.. صحينا كلنا وإكتشفنا إن عدد تلت سكان العالم مبقاش لهم وجود.. إختفوا بلا أثر وبلا أي دليل هما إختفوا راحوا فين وحصل لهم إيه.. إختفوا بدون أثر وبشكل مرعب مستحيل كان حد يتوقعه.. هل هما عايشين ولا ميتين.. مفيش حد عارف.

رجع المعارضين يربطوا بين الرسالة والتطبيق والإختفاء.. الكل بيخاف وبينتشر الهلع بين الناس..

يا ترى الدور على مين..؟

بس بعد مرور ست أيام من الحادثة دي بتيجي رسالة تانية بمكافآة أكبر ١٠٠ مليون دولار..!!!

المفروض كانت الناس المرة دي تمسح التطبيق لكن الناس كانت زي المسحورة باللي بيحصل والطمع كان مخليهم مش شايفين الحقيقة أو شايفين الخطر وبدؤا يجمعوا بعض ويتنظروا الرسالة الصوتية.. وبعدها وزي المرة الأولى بيختفي الملايين و ُأسر كاملة بتختفي بدون أثر..!

وسط كل إللي بيحصل من رعب وغموض بيظهر شاب بتاع تكنولوجيا إسمه (كريم) بيقدر يفك شفرة الفويس ويتتبع كل حاجة ويقدر يوصل لوثائق سرية ويمشي ورا الأحداث علشان نكتشف في الآخر إن فضائيين بالإتفاق مع الماسونية بيأسروا أكبر عدد من البشر بالفويس ده عشان الماسونية ماقدروش في الماضي يحققوا المليار الذهبي، فبيعملوا حاجة إسمها صفقة النهاية، وبينتجوا تطبيق no (sam))) إللي إسمه عكس حروف كلمة ماسون، وعن طريق الفويس ده وبشكل ما بيخطفوهم ويحطوهم في سجون كونية علشان يحققوا المليار الذهبي..!

(كريم) بيكتشف إن مشروع المليار الذهبي الماسونية قديم جداً وكانوا شغالين عليه من سنين طويلة، وهدفهم القضاء على كل البشر والإبقاء بس على مليار إنسان يتم إختيارهم، فأساس المشروع بيقول علشان نعيش حياة طبيعية لازم يكون عددنا مليار إنسان، الباقي ملهمش قيمة على الأرض، والمفروض يموتوا أو يتم قتلهم بلا رحمة..

(كريم) بيكتشف كمان إن الحروب إللي كانت بتحصل على مر القرون إللي فاتت كانت من أهم خطط المليار الذهبي، وخصوصاً إن كل ما بقى فيه حروب أكتر، كل ما مات بشر أكتر، كل ما قدر الماسونين إنهم يحققوا أهدافهم.. مثلًا في

الحرب العالمية الأولى الأرض خسرت 2% من عدد سكان الأرض، وفي الحرب العالمية التانية مات اكتر 20 مليون إنسان.. وبعد الحرب العالمية التانية الأرض بقت مستقرة، وبقى تعداد سكان الدول يزيد، وهنا كان لازم يفكروا في خطة بديلة، والخطة دي تكون أقوى، ومن هنا بدأوا يخططوا لحروب الفيروسات والأمراض إللي مالهاش علاج، وأخيراً لجأ الماسونين للإتفاق مع فضائيين عن طريق إنهم ينشروا التطبيق المريب ده، وبعدها بيأسروا أكبر عدد من البشر بالفويس ده، وأطلق على الصفقة دي إسم (صفقة النهاية)..!

(كريم) بعد رحلة طويلة ومخاطر عظيمة بيتعرض لها بيقدر يفك اللغز ده ويكشف المؤامرة، وبيتم إستعادة الأسرى إللي بيحكوا عن إنهم مجرد ما سمعوا الفويس فقدوا الوعي وصحيوا لقوا نفسهم مساجين في سجون فضائية داخل منطقة إسمها (أرض العدم)..!

بعد القضاء على المخطط الماسوني بيتم إستضافة كريم و تكريمة من كل حكومات العالم ومنحه أعلى القلادات و الاوسمة وبيصبح مثل أعلى لكل الشباب بس رغم كده كان إنسان متواضع وذكي لأقصى درجة ممكنة..!

في نهاية رسالتي المستقبلية خلوني أقول لكم إن أوقات

في تاريخ الأُمم والعالم بتحصل فترات مظلمة.. فترات الناس بتحس فيها باليأس وإنعدام الأمل.. فترات بيحسوا فيها بالخوف والرعب.. بس في وسط كل ده وفي وسط العتمة والضلمة والخوف دي بيظهر ناس بيقدروا ينوروا الطريق لكل البشرية وينقذوها في أحلك اللحظات..

ومن حُسن حظنا إن ظهر في الوقت ده شاب أنقذ كل البشرية..

الشاب ده كان إسمه كريم..

كريم نادر فودة..

إبن الصحفي والمحقق العظيم

نادر فودة.

صورة حقيقية مسربة لمُذكرات نحّاس

مُذكرات نحّاس ...

مش عارف أبدأ منين أنا لا بعرف أكتب مُذكرات

ولا عمري مسكت ورقة وقلم كتبت حاجة غير تصاريح

تسليم المصابين والأموات .

بس هكتب . هكتب أحسن ما يقولوا عليا مجنون .

هكتب يمكن حد يصدق . هكتب قبل ما أموت

نفسي أو حد منهم يموتني .

أنا اسمي نحّاس . ماشي في التسعة وأربعين سنة .

بشتغل مُسعف بقالي زيادة عن خمستاشر سنة .

لو قولت إني نقلت ألف حادثة مش هكون كداب

إن منهم ٩٠٠ حالة وفاة . ده أنا زمايلي في الشغل

سموني (نحّاس الموت علينا حق) .

أنا وصلت لمرحلة إن كل ما بيجيلنا بلاغ بحادثة

ويكون في الوردية بتاعتي بروح وأنا متأكد إني مش

هلاقي ولا واحد عايش وهلاقيهم كلهم ميتين .

مش ده المهم . المهم إللي هحكيه دلوقتي ..

القصة بدأت بحادثة كبيرة على الأوتوستراد كانت

ميكروباص و عربية نقل . لما وصلنا لقيناهم كلهم

ماتوا ماعدا شيخ كبير عُمره فوق التمانين سنة كان

بيلفظ أنفاسه الأخيرة وإحنا بنشيله كان عمال

يقول : الأمانة منقولة .. الأمانة منقولة ،

الأمانة منقولة . وشاور بإيده بوهن وضعف

شديد قربت ودني منه فقلي : اقبلها يابني اقبلها

قولتله : هي إيه يا حاج ؟

الشيخ : بالله عليك اقبلها دي أمانة ومسئولية

نحاس : حاضر يا حاج ماتتعبش نفسك بس

واهدى خالص .

كان رده عليا :

أشهد أن لا إله إلا الله .. وأشهد أن محمد رسول الله

ومات ! مات وسابلي لُغز مش فاهمه و إللي

اكتشفته إن المُسعف إللي كان معايا

ماسمعش أي حاجة من الكلام ده !

ده كمان بيحلف لي إني كنت بكلم نفسي
وإن الراجل ميت من وقت ما وصلنا .

طلعنا على القسم عملنا المحضر المُعتاد واللي بنعمله
دايماً في الحوادث ومنه طلعنا للتلاجة سلمنا الجثامين
و كان ميعاد ورديتي خلص وروحت . أقدر أقول
إن من اليوم ده حياتي اتبدلت ١٨٠ درجة و البداية
كانت بأحلام كتير جدًا كل ليلة بالشيخ اللي كان في
الحادثة . الأحلام كانت عبارة عن إعادة كل اللي
حصل من وقت ما روحت مكان الحادثة لحد ما
سلمت الجُثة ورسايل تانية غير مفهومة .

لحد ما في يوم كنت بنقل جُثة واحد وواحدة من
بيتهم . اللي حصل واحنا في الطريق وزميلي
السواق جنبي فجأة زغرودة جت من مكان الجُثث أنا
حرفياً موتت في جلدي لدرجة إني مابقيتش عارف
أنطق وبصيت لزميلي لقيته مركز في الطريق
وكأنه ماسمعش أي حاجة .

فمكنش قدامي غير إني ألتزم الصمت . مفيش دقيقة أو دقيقتين بالكتير وانطلقت الزغرودة التانية .

صرخت في زميلي و قولتله أنت مش سامع إللي بيحصل ؟ قالي : لأ مش سامع حاجة

مكملتش الجملة و إذ بصوت طبل و دفوف وزغاريد ينطلق من عند الجُثث . إلتفت ورايا لقيت الجُثتين قاعدين ! صرخت في زميلي و طلبت منه يوقف العربية . نزلت أجري من العربية و فتحت الباب إللي ورا لقيت الجُثث نايمة على السراير زي ما حطناهم بالضبط وزميلي مفيش على لسانه غير أنت إتلبست يا نحاس . أنت اتلبست يا نحاس . حلفت ما أنا مكمل المشوار في العربية . قولتله اسبقني وهحصلك بالمواصلات .

إللي عرفته بعد كده إن الإتنين دول كانوا عرسان وماتوا بتسريب غاز يوم فرحهم .

ده كان أول موقف أتعرض له و بدأت المواقف

تاني مرة كنا بننقل جُثة ست ماتت في انهيار عقار،
إحنا نقلنا في الحادثة دي جُثث كتير ودي كانت آخر
جُثة . كُنت يومها أنا إللي سايق العربية و زميلي
جنبي لأنه كان مطبق ورديتين فعرضت عليه إني
أسوق و وافق . في عز كلامنا أنا وهو سمعت خبط
من ورا إلتفت ورايا زي المجنون مفيش حاجة .
فكملت سواقة سمعت صوت واحدة ست بتقولي :
بنتي لسه هناك . إلتفت بسرعة لزميلي وقولتله
مش معقولة تكون مش سامع إللي أنا سامعه ؟
فجاوبني بنفس الرد بتاع المرة إللي فاتت إنه مش
سامع أي حاجة . لحد ما وصلنا الجُثة للتلاجة
واستلمها العامل منّا وأنا مابسمعش غير "بنتي لسه
هناك" بشكل متكرر ومُستفز لدرجة إن أنا زعقت
وأنا واقف في الشارع خلاص عرفت . خلاص
عرفت . ارحميني .

ورجعت بسرعة لمكان العقار المُنهار و قولت للي

موجودين هناك لقيتوا جُثث تانية ؟

فكان ردهم إن الجُثة إللي أنا خدتها كانت أخر جُثة

في المكان كله .

قولتلهم مستحيل ، في جُثة لسه ما طلعتش لبنت

الست إللي كانت معايا ، و بعد نقاش استمر لعدة

دقايق أقنعتهم يكملوا تنقيب و كانت المفاجأة إنهم

فعلا طلّعوا جُثة بنت في اوائل العشرينات و كلهم في

عينيهم ونظراتهم تساؤلات كتير ليا مش لاقيين لها

إجابة ، أنا نفسي مش لاقي إجابة .

و توالت الحوادث واستمر تواصل الأموات إللي

بنقلهم معايا .

كُنت أنا و زميلي بننقل واحدة ست جالها غيبوبة

سُكر بالليل متأخر ، و كان زميلي مشغّل

كعادته أم كلثوم .

وابن الست كان ورانا بعربيته والمريضة ورا ..

كُنت مُندمج جداً مع أم كلثوم و هي بتقول :

بعد حين يبدل الحُب داره

والعصافير تهجر الأوكار

وديار كانت قديماً ديار

وسمعت وسط الأغنية صوت نهنهة وبُكا، مُنخفض

فقولت لزميلي : أنت سمعت إيه في الأغنية ؟

قالي : سمعت إيه مش فاهم ؟

نحاس : مخالي واحدة تعيط جوا الأغنية !

زميلي : إيه ده ! هو أنا مابيتهيأليش ؟!

نحاس : لأ ياخويا ، هو ده مش أنت إللي عامله ؟

زميلي : أقسم بالله الشريط ده موجود على طول

بتاع هذه ليلتي و أول مرة أسمع العياط ده

جوا الأغنية .

وفي عز كلامنا ، بصيت بالصُدفة ورا ،

لقيت الست قامت قعدت و شدت ماسك
الأكسجين من على وشها ، و التفتت لي وبعزم
ما فيها حدفت ماسك الأكسجين بالخرطوم بتاعه
عليّا ، أنا وطيت بحركة لا إرادية ومن غير ما أقصد
خبطت زميلي فقرمل بسرعة .
إلتفت ورا لقيت الست نايمة زي ماهي و الماسك
على وشها !!!
لما نزلنا علشان ندخلها الطوارئ لقيت الماسك
مفصول عن أنبوبة الأكسجين أو تحديدًا مقطوع
بفعل فاعل !
ربنا ستر والست ماكنتش ماتت يومها .
مش هنسى في مرة لما كُنت بنقل جُثة راجل
مرانة قتلتمر ،
طول الطريق حرفياً كُنت بسمع أفظع شتائم من
جُثة الراجل و تهديدات ليا إنه هيجيلي ويطلّع
على جتتي البلا .

إنتوا متخيلين هل في بني أدم بيتحمل إللي

أنا إتحملته ده ؟!

الموضوع عمال يزيد و أنا حالتي بتسوء و قدمت طلب

إني أتنقل لأي وظيفة مكتبية وإني منقلش لا جثث

و لا مُصابين تاني . قدمت الطلب ده تحديداً بعد

حادثة مُعينة حسيت بعدها إني لو منسحبتش هتجنن

ده إذا كُنت لسه ما إتجننتش أصلاً. الحادثة دي كانت

في عز الشتا والجو كان مغيم و الدنيا قالبة هاتك يا

مطرة واتبلغنا إن في أتوبيس شركة عمل حادثة مع

عربية نقل ، لما وصلنا شوفت منظر غريب جداً ،

شوفت كل المُصابين واقفين على الرصيف

وغرقانين في دمهم ولا بيتحركوا ولا بيعملوا أي

حاجة ، جريت عليهم أسألهم و أحاول أساعدهم

محدش فيهم رد عليا

كأنهم منومين مغناطيسيا ،

لقيت زميلي جاي من ورايا بيقولي : أنت واقف

بتهبب إيه عندك هو أنا هشيل الميتين دول

كلهم لوحدي ؟

قولتله أوبك قولت ميتين مش أول نشوف المُصابين

دول الأول نطمن عليهم

رد عليا : مُصابين مين ؟ كل إللي في الحادثة ماتوا

قولتله : سلامة نظرك أمال دول مين ؟ و

شاورت على إللي واقفين على الرصيف ولقيتهم

كلهم مُبتسمين .

قالي : هو إحنا مش هنبطل شُغل الجانين ده بقى ؟

مش قد الشُغلانة يا نحاس سيبها ، الرصيف فاضي

مفيش عليه أي حد و الجثث كلها مرمية على

الأرض قُدامك .

كل الجثث إللي في الأرض كانت نُسخة طبق

الأصل من إللي واقفين على الرصيف فأيقنت

إن حالتي بتسوء لأني لازم أسيب الشُغلانة دي .

ليلتها لما روحت البيت كنت واخد القرار بأني أتنقل
من العمل الميداني ده أو أسيب الشغلانة خالص .
حكيت لراضية مراتي كل إللي حصل من أول ما
شوفت الشيخ لحد الحادثة الأخيرة فكان ردها : بلاش
تتكلم مع حد وما تقطعش عيشك بإيدك .
دخلت إترميت على السرير وأنا مش عارف إيه
القرار الصح إللي لازم يتاخد ، معرفش نمت قد إيه
لكنني صحيت مخنوق مش قادر أتنفس مش قادر
حتى أمد إيدي أجيب الميه إللي جنبي أشربها ،
و في وسط الضلمة شايف ناس كتير واقفة في
الأوضة واقفين زي التماثيل مش عارف أشوف
ملامح وشوشهم من الضلمة لكن شايف هيئتهم
كويس و عددهم إللي يتجاوز عشر أفراد ،
بصعوبة بالغة قدرت أحرك إيدي و مديتها للأباجورة
علشان أنور الأوضة يادوب لمست الزرار والأباجورة
نورت و حسيت بإيد متلجة قبضت على إيدي .

لما الأوضة نورت مفيش حاجة اختفت زي

ما بيقولوا في كُتب الحواديت بالعكس كل حاجة بقت

أوضح . نفس الجُثث إللي كانت على الرصيف

متلطخة بالدم واقفين حوالين السرير وواحد منهم

هو إللي كان ماسك إيدي علشان ما أنورش

الأباجورة ، أنتوا متخيلين الموقف ؟

تخيل نفسك نايم على السرير وتصحى تلاقي أكتر

من عشر جُثث واقفين حوالين السرير ومحاوطينه

وكُلهم عنيهم الباردة الخالية من الحياة متسلطة

عليك . أنا معرفش المفروض الواحد في المواقف

إللي زي كده يعمل إيه ويتصرف إزاي !

كل إللي عملته إني قريت بعض آيات من القرآن

فكان رد فعلهم إنهم إتكلموا كُلهم مع بعض بصوت

واحد عميق مُخيف كأنه جاي من الجحيم

و قالوا : ....

لا تترك الأمانة ، لا تترُك الأمانة ، لا تترُك الأمانة

وفتحوا الباب وخرجوا واحد ورا التاني ، طبعًا محدش

شاف ولا سمع غيري كالعادة ، وهنا كان قراري

النهائي إني هسيب الشغل أو هنتقل

واللي يحصل يحصل .

دلوقتي أنا بالفعل إتنقلت وسبت المجال الميداني كُله

وكُنت فاكر إن هو ده العلاج بس للأسف إللي

أدركته مؤخرًا إني فتحت على نفسي باب من

أبواب جهنم . بعد ما كُنت بشوف الميتين

و بسمع أصواتهم في عربية الإسعاف ، دلوقتي بقيت

بشوفهم في كل مكان حواليا و بعد ما كانوا مُجرد إنهم

بيوصلولي رسالة أو استغاثة دلوقتي بقوا يعذبوني

نفسيًا و جسدياً ليل نهار ويأكدولي إن الأمانة

اتقلبت عليا بعد ما خونتها وإن إللي باقي في عُمري

مُجرد أيام . حاولت أتدارك الأمر و أرجع للشغل

الميداني تاني لكن للأسف

الوضع ماتغيرش والموتى بيطاردوني و كأنهم بينتقموا

من ملك الموت في شخصي و بعد ما كنت أنا أحد

أذرع ملك الموت لتوصيل الموتى للمتلاجات بقيت

ضحية لأرواح خبيثة قررت إن هي تسلمني لملك

الموت بمنتهى البُطء الرهيب .

أنا معرفش علاج إللي عندي ده إيه . أنا مش عاوز

أموت ولا مُستعد للمواجهة دي دلوقتي .

دي أخر حاجة بكتبها و إللي يقع في إيده المُذكرات

دي أكيد هيكون بيقراها وأنا ميت وهنصحك

نصيحة . مش كُل أمانة نقدر نحملها

ونكون أُمناء عليها ..

انتهت مُذكراتي..

التحانس..